
اجاثا كريستي
ذات القناع الأسود

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ذات القناع الأسود
Poirot Investigates

يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من القصص المثيرة الغنية بالمغامرات الشائقة، وعلى رأس هذه القصص أسطورة صينية خيالية، لم يكن أحد ليعيرها اهتمامه... تحكي هذه القصة سرقة ألماستين هما بمثابة عينين لإله صيني: تمثل إحداهما العين اليسرى للإله الصيني وتسمى «نجمة الغرب»، وتمثل الأخرى العين اليمنى وتسمى «نجمة الشرق»، وبما أن العينين قد سُرقتا فكيف ينفذ الإله صاحب العينين تهديده لأصحاب الألماستين، وكيف يستعيد عينيه؟! كما أننا نتساءل ماذا يستطيع أن يفعل المفتش «بوارو» حيال تلك الأحداث الخيالية ويتصدى للإله الصيني وينتزع منه عينيه؟!

ندعوك - عزيزي القارئ - إلى الاستمتاع أيضا بما احتواه هذا الكتاب من أسطورة لعنة الفراعنة؛ فقد تكون مجرد أسطورة مصرية قد يثبت الواقع صحتها، وهل تصبح لعنة الفراعنة حقيقة تتخطى حاجز الزمان والمكان، وهل في ذلك الأمر سر؟!

ثمن الكتاب

لبنان ـــــ 5000 ل.ل.	قطر ـــــ 10 ريالات
سوريا ـــــ 100 ل.س.	عُمان ـــــ 1.5 ريال
الأردن ـــــ 1.5 دينار	مصر ـــــ 10 جنيهات
السعودية ـــــ 10 ريالات	المغرب ـــــ 30 درهما
الكويت ـــــ 1 دينار	ليبيا ـــــ 5 دنانير
الإمارات ـــــ 10 دراهم	تونس ـــــ 4 دنانير
البحرين ـــــ 1.5 دينار	اليمن ـــــ 400 ريال

ISBN 995338168-2
9 789953 381688

ذات القناع الأسود

بونـارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

ذات القناع الأسود

(40)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christie

الأسم الأصلي للرواية

Poirot Investigates (1924)

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

- 1 -
ذات القناع الأسود

كانت تبدو على صديقي "**بوارو**" منذ بعض الوقت دلائل القلق والسأم، ولم تكن قد عرضت لنا في الفترة الأخيرة قضايا مثيرة من النوع الذي يتيح لصديقي قصير القامة فرصة لاستخدام مواهبه وقدراته العجيبة على الاستنتاج والاستدلال.

وفي صباح ذلك اليوم من شهر "يوليو" (تموز) ألقى "**بوارو**" بالصحيفة الصباحية جانبًا في ضجرٍ وقال:

– إن أشقياء "**إنجلترا**" يرهبونني يا "**هاستنجز**".. فحيثما يوجد القطّ لاتجسر الفئران الصغيرة على الاقتراب من الجبن.

فقلت ضاحكًا:

– أنا لاأعتقد أن الغالبية العظمى من أشقياء "**إنجلترا**" تعلم أن هناك شخصًا على قيد الحياة يدعى "**هركيول بوارو**".

فرمقني بنظرة عتاب..

كان يتوهم أنّ الدنيا كلها تفكّر في "**هركيول بوارو**" وتتحدث عنه.. صحيح أن اسمه أصبح معروفًا في "**لندن**"، ولكنني لا أعتقد أن وجوده كان خليقًا بأن يوقع الرعب في قلوب المجرمين.

قلت له:

– ما قولك إذن في حادث سرقة المجوهرات الذي وقع في شارع "**بوند**" منذ بضعة أيام؟

فأجاب:

– الحق أنه حادث فريد ولكنه ليس من النوع الذي يستهويني.. إنه ينطوي على الجرأة.. ولكن ليس فيه فنّ.. رجلٌ يهوي بعصاه على الواجهة الزجاجية لحانوت أحد تجّار المجوهرات فيحطّمها.. ويختطف بعض المجوهرات الثمينة فيقبض

عليه المارّة فوراً.

ويحضر رجال البوليس ويجدون المجوهرات في جيبه، ويقتادونه إلى مركز البوليس. وهناك يكتشفون أنّ المجوهرات مزيّفة وأنّ المجوهرات الحقيقية قد هرّبها اللصّ مع زميلٍ له كان بين المارّة..

صحيحٌ أن اللصّ سيحاكم ويسجن.. ولكنه عندما يخرج من السجن سيجد في انتظاره ثروةً ينفقها كيف يشاء.. فكرةٌ لابأس بها.. ولكني أستطيع أن أفعل خيراً من ذلك.. إنّني أشعر بالأسف أحيانًا يا "**هاستنجز**"؛ لأنني لا أعمل ضد القانون.

- هوّن عليك يا صديقي.. أنت تعلم أنك فريدُ في تخصّصك.

-ولكن أين هي القضايا أوالأحداث التي تدخل في تخصّصي؟

فتناولت الصحيفة وألقيت على عناوين الأنباء نظرة سريعة وقلت:

- هوذا مثلاً رجلٌ «**إنجليزي**» مات بطريقةٍ غامضةٍ في "**هولندا**".

- إنهم دائمًا يقولون ذلك ثم يثبت أنّ الرجل أكل علبة سردين فاسدة، وأنّ الوفاة كانت طبيعيّة تمامًا.

وكان "**بوارو**" يتكلّم وهو يطلّ من النافذة. ولم يلبث أن قال:

- إنّني أرى في الشارع أمامي، ما يصفونه في القصص بـ(المرأة المقنعة).. إنها تخفي وجهها تحت نقابٍ أسود سميك.. ها هي تقترب من بابنا وتدق الجرس..لابدّ أنها تريد أن تستشيرنا في أمرٍ.. ومن المحتمل جدًا أن يكون أمراً مثيراً.. عندما تكون المرأة في مقتبل العمر وجميلةٌ كهذه المرأة.. فإنّها لاتضع على وجهها نقابًا إلاّ لسببٍ خطيرٍ...

وبعد لحظات كنّا نستقبل الزائرة.. وكانت ـ كما قال "**بوارو**" ـ تضع على وجهها نقابًا كثيفًا يستحيل معه تبيّن قسمات وجهها.. ولكنها عندما رفعت النقاب أدركت كم كان "**بوارو**" على صواب.

وكانت على جانب عظيم من الجمال. لها شعرٌ ذهبيّ وعينان زرقاوان.. وكانت

ترتدي ثوبًا تدلّ أناقته وبساطته ونوع نسيجه على أنّها تنتمي إلى أرقى طبقةٍ في المجتمع.

قالت بصوتٍ موسيقيّ هادئٍ:

- سيد "**بوارو**".. إنّني في مأزق ولا أكاد أصدّق أنّك تستطيع مساعدتي.. ولكن ما سمعته عنك قد حملني على الالتجاء إليك كآخر أمل لكي أرجوك أن تفعل المستحيل.

فقال "**بوارو**":

- يسرّني دائمًا أن أفعل المستحيل.. أرجوك أن تمضي في حديثك يا آنسة.

فبدا التردّد على الزائرة الفاتنة.. واستطرد "**بوارو**" قائلاً:

- يجب أن تكوني صريحة.. وألاّ تتركيني في الظلام فيما يختصّ بأي جانبٍ من جوانب المشكلة.

فقالت الفتاة فجأةً:

- سأضع كل ثقتي فيك يا سيد "**بوارو**". هل سمعت عن السيدة "**ميلسنت كاسل فوجان**"؟

وأثار هذا الاسم اهتمامي؛ فقد قرأت ما نشر منذ بضعة أيام عن خطوبة السيدة "**ميلسنت**" إلى دوق "**ساوثشاير**" وكنت أعلم أنّ السيدة هي الابنة الخامسة لأحد النبلاء الأيرلنديين، وأنّ الدوق من أغنى وأعرق الأسر الإنجليزية.

قالت الزائرة:

- أنا السيدة "**ميلسنت**" ولعلّك قرأت نبأ خطوبتي. وكان يجب أن أكون أسعد فتاةٍ في الوجود.. ولكنّي أجد نفسي في مأزق رهيب يا سيد "**بوارو**".. هناك رجلٌ مخيفٌ يدعى "**لافنجتون**"... وهذا الرجل.. يا إلهي.. لست أعرف كيف أبدأ القصّة.. هناك رسالةٌ كتبتها.. حين كنت في السادسة عشرة من عمري.. وكان هو...

– رسالةٌ كتبتها لهذا المدعو "**لافنجتون**"؟

– كلا.. لم تكن له وإنّما كانت لجنديّ شاب أحببته.. ولكنّه قتل في الحرب.

– آه.. فهمت.

– كانت رسالة حمقاء.. أملاها الطيش.. ولم يكن بيني وبين ذلك الشاب ما أخجل منه. ولكن بعض عبارات الرسالة يمكن تأويلها على غير معناها.

– وهل وقعت هذه الرسالة بين يدي السيد "**لافنجتون**"؟

– نعم.. وهو يهدّدني بإرسالها إلى الدّوق ما لم أدفع له مبلغًا ضخمًا.. مبلغًا يستحيل أن أحصل عليه.

فتمتمت قائلاً:

– يا له من وغد!

وقال "**بوارو**":

– أليس الأفضل أن تعترفي لخطيبك بكل شيء؟

– إنّني لا أجسر على ذلك يا سيد "**بوارو**"؛ فالدوق شابٌ غيور.. سيئ الظنّ.. والاعتراف له بقصّة الرسالة.. سيكون بمثابة فسخ للخطوبة.

– هذا أمرٌ يؤسف له.. وماذا تريدينني أن أفعل ياسيدتي؟.

– لقد خطر لي أن أطلب إلى السيد "**لافنجتون**" أن يأتي لزيارتك باعتبارك وكيلاً عني في هذا الموضوع. فربما استطعت إقناعه بعدم المغالاة في مطالبه.

– وكم طلب؟

– طلب عشرين ألفًا من الجنيهات وهو مطلبٌ مستحيل؛ لأنني لاأستطيع الحصول على ألفٍ واحد.

– في استطاعتك اقتراض المبلغ اعتماداً على زواجك المنتظر.. ولكن لا.. إنّ الرضوخ للابتزاز يثير نفوري واشمئزازي.. ولكن كوني مطمئنّة ياسيدتي.. إنّ عبقريّة "**بوارو**" سوف تدحر أعداءك.. ابعثي إليّ بهذا السيد "**لافنجتون**". هل

تعتقدين أنه سيحضر الرسالة معه؟.

– لاأظنّ.. إنّه شديد الحذر.

– هل أنت واثقة بأن الرسالة في حوزته؟

– لقد أطلعني عليها عندما ذهبت إليه في بيته.

– ذهبت إلى بيته؟ هذه رعونةٌ شديدة يا سيدتي.

– أحقًّا؟ إنني كنت في أشد حالات اليأس. وقد رجوت أن تزحزحه توسلاتي عن موقفه.

– إنّ أمثال "**لافنجتون**" في هذه الدنيا لاتزحزحهم التوسّلات؛ ولابد أن يكون ذهابك إلى بيته قد كشف له عن مدى اهتمامك بالرسالة. أين يقيم هذا الرجل؟

– في "**بونا فيستا**" بمنطقة "**ويمبلدون**".. وقد ذهبت إليه بعد هبوط الظلام، وقلت له إنّني سأبلّغ البوليس. فضحك ضحكةً مقيتةً وقال في سخريةٍ: أرجوك أن تفعلي..

فقال "**بوارو**":

– نعم.. ذلك ليس من اختصاص البوليس.

– ومضى "**لافنجتون**" في حديثه قائلاً: (إنني واثقٌ بأنك أعقل من أن تفعلي ذلك.. انظري.. ها هي رسالتك في هذا الصندوق الصغير).. ووضع الرسالة أمامي فحاولت أن أختطفها ولكنّه كان أسرع مني.. فتناول الرسالة وطواها وأعادها إلى الصندوق وقال:

–(أؤكد لك أنّها ستكون بمأمنٍ هنا. ثم إنّني أخفي الصندوق نفسه في مكان لايمكن أن تصل إليه يدٌ).

وعندما قال ذلك اتّجه بصري إلى خزانةٍ صغيرةٍ في الجدار..

ولكنّه هزّ رأسه وضحك وقال: (إن لدي خزانة أفضل من هذه)..

وكان مقيتًا إلى أقصى حد. وصمتت السيدة الفاتنة قليلاً ثم قالت:

– هل تستطيع مساعدتي يا سيد "**بوارو**"؟.

– ثقي بـ(بابا) "**بوارو**".. لابد أن أجد وسيلة.. ورافق "**بوارو**" الزائرة إلى الباب الخارجي. ولما عاد قلت له:

– يخيّل إليّ أن المسألة ليست من السهولة كما صورتها لزائرتنا الفاتنة.

– الواقع أنّني لم أهتد بعد إلى حلّ. إنّ السوط في يد "**لافنجتون**"..ولاأعرف كيف سنتعامل معه.

زارنا "**لافنجتون**" بعد ظهر ذلك اليوم. وكانت السيدة "**ميلسنت**"على حق حين وصفته بأنّه إنسان مقيت فلقد أحسست برغبةٍ شديدةٍ في أن أركله بقدمي وأقذف به خارج البيت.

كان وقحًا ومغروراً وقد سخر من كل اقتراحات "**بوارو**" وحاول أن يؤكّد لنا أنّه سيد الموقف.. وفي النهاية تناول قبعته وقال وهو يهمّ بالانصراف:

– يبدو أننا لم نتقدم كثيراً أيّها السادة.. ولكن نظرًا لأنّ السيدة "**ميلسنت**" سيدة لطيفة. فإنّني على استعداد لقبول ثمانية عشر ألفًا من الجنيهات.. إنّ لدي عملاً في "**باريس**" وسأسافر إليها اليوم وأعود يوم الثلاثاء... وإذا لم أتسلّم المبلغ في مساء الثلاثاء، فسأبعث بالرسالة إلى الدوق.. لاتقل لي إن السيدة "**ميلسنت**" لاتستطيع إعداد المبلغ.. إنّ لها أصدقاء ومعجبين لاحصر لهم، وامرأة فاتنة مثلها لن تعجز في الحصول على قرضٍ إذا أبدت بعض التساهل.

فهممت بالانقضاض عليه..ولكنّه كان قد استدار وهو يتحدث، ونطق بعبارته الأخيرة وهو بباب الغرفة.

صمت "**بوارو**" فقلت وأنا أتميز غيظًا:

– لابدّ من عمل شيءٍ يا "**بوارو**".. إنّك تواجه الموقف بخنوع واستسلام عجيبين!

– إنّ لك قلبًا طيبًا ياصديقي، ولكن خلايا مخّك في حالةٍ يرثى لها... إنّني لا

أريد أن أبهر "**لافنجتون**" بقدراتي.

وكلما ظنّني خاملاً... كان ذلك أفضل.

– لماذا؟

– من عجب أنّني عبّرت عن رغبتي في العمل ضد القانون قبيل قدوم السيدة "**ميلسنت**"!!!

– هل تنوي السطو على بيت "**لافنجتون**" في غيابه؟

– إنّ عقلك يعمل بسرعةٍ مذهلةٍ في بعض الأحيان يا "**هاستنجز**".

– هب أنّه يحتفظ بالرسالة في جيبه؟

فهز "**بوارو**" رأسه وأجاب:

– لاأظنّ ذلك، والأرجح أن لديه في بيته مخبأ يعتقد أنّ أحداً لا يستطيع الاهتداء إليه.

– ومتى سنبدأ فعلتنا.. المنكرة؟

– غداً.. ليلاً.. وسنتحرك من هنا في الساعة الحادية عشرة.

وفي الموعد المحدد. كنت مستعداً وقد ارتديت ثوباً أسود وقبعة سوداء عريضة. فقال "**بوارو**":

– إنّك ارتديت الثوب الذي يناسب المهمة.. هلمّ بنا.

– ألن نأخذ معنا بعض الأدوات اللازمة للعمل؟

– يا عزيزي "**هاستنجز**".. إنّ "**هركيول بوارو**" لايلجأ إلى الأساليب البدائيّة.

وكان الليل قد انتصف عندما وصلنا إلى ضاحية "**بونا فيستا**".

وكان الظلام يخيّم على بيت "**لافنجتون**"، فقصد "**بوارو**" توّاً إلى نافذة في الجانب الخلفي من البيت ودفعها في هدوء، ففتحت على الفور دون أية جلبة. وأدهشني ذلك. فسألته في همس:

– كيف عرفت أنّ هذه النافذة ستفتح بسهولة؟

– لأنني رفعت مزلاجها صباح اليوم.

– ماذا؟

– كانت المسألة في غاية البساطة.. حضرت صباح اليوم وقدمت بطاقة زائفة.. وبطاقة أخرى، من بطاقات المفتّش "**جاب**". وقلت إنني جئت بتوصية من "**اسكتلنديارد**" لتركيب مزاليج للنوافذ تحول دون دخول اللصوص. فرحّبت بي مديرة البيت. وقالت إنّ اللصوص اقتحموا البيت مرتين في المدة الأخيرة.

ويبدو أن الفكرة التي خطرت لنا، قد خطرت كذلك لآخرين من زبائن "**لافنجتون**". ولكن لم يسرق من البيت شيء ذو قيمة.

وبعد أن فحصت جميع النوافذ وعبثت بمزلاج هذه النافذة. حذّرت الخدم من الاقتراب من النوافذ قبل 24 ساعة؛ لأنّها جميعًا متصلة بالتيّار الكهربائي.

– الحق أنّك رجلٌ عجيبٌ يا "**بوارو**".

– كانت المسألة غاية في البساطة كما قلت لك.. والآن.. هلمّ إلى العمل. إنّ الخدم ينامون في الطابق العلوي فلا خطر من أن نزعجهم أو يزعجونا..

– لابد أنّ الخزانة موجودة داخل أحد الجدران.

– أية خزانة؟ إنّ "**لافنجتون**" رجلٌ ذكي. وسوف ترى أنّه ابتكر مخبأً أفضل من الخزانة.. إنّ الخزانة هي أول شيءٍ يبحث عنه الإنسان.

وبدأنا البحث بطريقة منظمة.. وقضينا بضع ساعاتٍ في تفتيش المنزل دون جدوى.

ورأيت سحب الغضب تتلبّد في وجه "**بوارو**" وسمعته يتمتم:

– هل يمكن أن يهزم "**هركيول بوارو**"؟ مستحيل.. فلنفكر في هدوء.. ولنستخدم خلايانا الرماديّة الصغيرة..

وتريث قليلاً ثم تألقت عيناه فجأةً وهتف:

– كم كنت مغفلاً!! هلمّ إلى المطبخ.

– المطبخ؟ ولكن ذلك مستحيل.. ثم هناك الخدم.

– تمامًا.. ذلك ما يقوله 99 في المائة من الناس. ولهذا كان المطبخ هو المكان المثالي لإخفاء الأشياء التي يراد إخفاؤها.

وتبعته إلى المطبخ ورأيته يفتّش الدواليب والأواني ويضع رأسه في الفرن.. ويدسّ يديه في وعاء الفحم فقلت له: لا يمكن أن يكون "**لافنجتون**" قد أخفى الرسالة في الفحم.

– لو عرفت كيف تستخدم عينيك.. لرأيت أنني لاأبحث في الفحم..

والواقع أنه كان يفحص كتلاً من الخشب مكومة خلف وعاء الفحم. ولم يلبث أن هتف:

– هل معك مطواة يا "**هاستنجز**"؟.

فأعطيته المطواة فاغمد نصلها في إحدى الكتل الخشبية فانشطرت الكتلة وظهر في وسطها تجويف. ومن هذا التجويف، أخرج "**بوارو**" صندوقًا صغيراً فلم أتمالك من أن أهتف: أحسنت يا "**بوارو**".

– مهلاً يا "**هاستنجز**" ولاترفع صوتك.. هلمّ بنا فتصرف فقد بزغ الفجر.

ووضع الصندوق في جيبه، وغادرنا البيت من حيث دخلنا.. وسرنا مسرعين في الطريق إلى "**لندن**"..

قلت: يا له من مخبأ عجيب!!! كان في استطاعة أي خادم أن يجعل من هذه الكتلة وقودًا للمدفأة..

– المدفأة في شهر "يوليو" (تموز) يا "**هاستنجز**"؟ ثم إنّ هذه الكتلة كانت تحت كومة كبيرة من الكتل.. آه ها هي سيارة أجرة.

*****

نال مني التعب والانفعال فاستغرقت في نومٍ عميقٍ واستيقظت حوالي الظهر

لأجد "**بوارو**" جالسًا في قاعة الاستقبال يقرأ الرسالة التي وجدها في الصندوق الصغير.. وما إن رآني حتى ابتسم وقال وهو يلوح بالرسالة:

– كانت السيدة "**ميلسنت**" على حق.. فإنّ من المستحيل أن يغفر لها الدوق أنّها كتبت هذه الرسالة التي تتضمّن من عبارات الحب والوجد ما لم أقرأ له مثيلاً..

– ما كان ينبغي لك أن تقرأ هذه الرسالة الخاصة يا "**بوارو**"، فأجاب بشيء من الجفاء:

– إن "**بوارو**" يعرف ما ينبغي عليه أن يفعله..

– كذلك لم يكن ينبغي أن تستخدم بطاقة المفتش "**جاب**"؛ لأن ذلك يخالف أصول اللعبة.

– إنّني لم أكن ألعب يا "**هاستنجز**".. وإنّما كنت أقوم بتحقيق قضية.. آه.. هأنذا أسمع وقع أقدام على درج السلم، لابد أنها السيدة "**ميلسنت**".

ودخلت عميلتنا الجميلة وعلى وجهها مسحةٌ من القلق تحولت إلى سرورٍ وبهجة حالما وقع بصرها على الرسالة والصندوق بين يديّ "**بوارو**".

هتفت: أنت رجلٌ عجيب يا سيد "**بوارو**".. كيف فعلت ذلك؟

– بوسائل غير قانونية.. ولكن "**لافنجتون**" لن يشكونا.. هل هذه هي رسالتك؟

فألقت نظرة على الرسالة وقالت: نعم.. كيف أشكرك يا سيد "**بوارو**".. أنت رجلٌ عجيبٌ.. عجيب.. أين وجدتها؟ فأخبرها، فقالت: ما أبرعك!!

ومدت يدها لتتناول الصندوق الصغير وقالت:

– سأحتفظ بهذا الصندوق أيضًا للذكرى.

– كنت أرجو يا سيدتي أن تسمحي لي بالاحتفاظ به.. للذكرى أيضًا.

– سأرسل لك في يوم زفافي هدية للذكرى أفضل من هذه وستجد أنني لا أنكر المعروف.

– إنّ تقديم خدمة لك.. هو شرفٌ عظيمٌ لي. وأهم عندي من أي مبلغ من المال

تفكرين في إرساله إليّ.. ولذلك أرجو السماح لي بالاحتفاظ بهذا الصندوق.

فقالت وهي تضحك:

– كلا يا سيد "**بوارو**".. إنني أريده.

ومدت يدها إلى الصندوق، ولكن "**بوارو**" أطبق عليه بكلتا يديه. وقال وفي صوته نبرة حادة:

– لا أظن ذلك

– ماذا تعني؟

– على كل حال.. أرجو أن تسمحي لي على الأقل باستخراج محتوياته الأخرى.. إن فراغ الصندوق، كما ترين، مقسم إلى قسمين.. القسم العلوي وبه الرسالة.. والقسم الآخر.. وهو القاع...

ودسّ يده في الصندوق.. ثم أخرجها وفتح قبضته.. فإذا بها أربع قطع ضخمة من الألماس..

قال: سيقول لنا المفتش "**جاب**" الآن إن هذا هو الألماس الذي سرق من حانوت المجوهرات بشارع "**بوند**" منذ بضعة أيام، ولشد ما كانت دهشتي حين رأيت المفتش "**جاب**" يخرج من غرفة نوم "**بوارو**"

واستطرد "**بوارو**" في أدبٍ موجهًا الحديث إلى السيدة "**ميلسنت**":

– أعتقد أن المفتش "**جاب**" من أصدقائك القدامى.. فرمقته بنظرة تجمع بين الهلع والإعجاب والسخط وقالت: يالك من شيطان!! فقال المفتش "**جاب**" يحدثها:

– انتهت اللعبة يا عزيزتي "**جرترود**"... من كان يظنّ أننا سنتقابل بهذه السرعة؟ لقد قبضنا على شريكك الذي زار "**بوارو**" أمس منتحلاً اسم "**لافنجتون**"... أما "**لافنجتون**" الحقيقي المعروف كذلك باسم "**كوركر ريد**".. فإني لاأعرف من أفراد عصابتك من قد أغمد خنجره في صدره منذ أيام أثناء وجوده في "**هولندا**".. إنّك ظننت أن المجوهرات معه.. أليس كذلك؟ ولكنها لم

تكن معه.. لقد خدعكم جميعًا وأخفاها في بيته.. فأرسلت اثنين من اعوانك لتفتيش البيت، ولكنهما أخفقا.. وحينئذ لجأت إلى صديقي "**بوارو**".. الذي ساعده الحظ ووجدها.

فقالت السيدة المزعومة:

– إنّك تحب الكلام والثرثرة.. سأمضي معك في هدوء.. فهلمّ بنا.. ولكنك لاتستطيع أن تنكر أنني أجدت القيام بدور سيدةٍ من أرقى الطبقات.

وألجمتني المفاجأة فلم أقو على الكلام.. أما "**بوارو**" فإنّه قال:

– نعم.. إنّك أجدت القيام بدورك.. لكنك أخطأت في الحذاء.. لقد دلتني ملاحظاتي على أنّ السيدة الإنجليزية الكريمة تهتم اهتمامًا خاصًّا بحذائها..

فهي قد ترتدي ثوبًا قديمًا رثًّا.. ولكنّها تحرص على أن يكون حذاؤها من النوع الأنيق الثمين.. وقد كان ثوبك أنيقًا غالي الثمن.. أما حذاؤك فكان من النوع الرخيص.

ولاأنكر أن هناك بعض الشبه بينك وبين السيدة "**ميلسنت**" وعلى كل حال فإنّه لم يكن منتظرًا أن أكون أنا وصديقي الكابتن "**هاستنجز**" قد رأينا السيدة "**ميلسنت**" الحقيقية خاصة وأنّها لاتاتي إلى "**لندن**" إلاّ نادرًا.

كانت هناك ثلاثة أشياء أثارت شكوكي.. وهي على التوالي: القناع الأسود، والحذاء.. والقصة...

ولابد أن تكون قصة الرسالة المزعومة معروفة لدى أفراد العصابة جميعًا.. أما موضوع كتلة الخشب فلم يكن يعرفه سوى "**لافنجتون**"..

وصمت "**بوارو**" قليلاً ثم التفت إليّ وقال:

– أرجو الاّ تخدّش شعوري مرة أخرى يا "**هاستنجز**" كما فعلت أمس حين قلت إن مجرمي "**إنجلترا**" لايعرفونني... إنهم لايعرفونني فحسب... وإنما يستخدمونني أيضًا في المهام التي يفشلون في أدائها.

- 2 -
نجمة الغرب

كنت واقفًا أتطلع بكسلٍ من إحدى نوافذ مسكن "بوارو" عندما صحت فجأة:

– يا له من أمر غريب!.

وقال "**بوارو**" بهدوء:

– ماذلك الأمر الغريب يا صديقي؟

– لك أن تستنتج بنفسك من الحقائق التالية يا "**بوارو**". سيدة شابة ترتدي ثيابًا فاخرةً على أحدث موضة، وتضع قبعة على راسها وفراء ثمينًا على كتفيها. إنّها تسير ببطءٍ في الشارع متلفتة إلى البيوت التي تمر بها، ويلاحقها كظلّها– دون أن تفطن إلى ذلك– ثلاثة رجالٍ وسيدة في منتصف العمر، وقد انضمّ إليهم على التوّ صبيّ يشير إلى الشابة الحسناء وهو يتحدث إليهم، ترى أية مأساة تلك التي تجري الآن؟ هل تكون السيدة محتالة والرجال الذين يتبعونها من المخبرين الذين يعدون العدة للقبض عليها؟ أم يكون الرجال من المجرمين الذين يستعدون للهجوم على الضحية البريئة؟ ماذا يقول المخبر العظيم تعليقًا على ذلك؟

وقال "**بوارو**" وهو يغادر مقعده:

– يختار المخبر العظيم كما هي العادة أبسط الطرق، سوف ينهض ليرى الوقائع بنفسه..

وانضمّ "**بوارو**" إليّ ليتطلّع من النافذة، وسرعان ما انطلق يضحك في مرحٍ وهو يقول:

– إنّك تضفي كعادتك على الوقائع مسحةً من الخيال، هذه السيدة "**ماري مارفيل**" النجمة السينمائية المشهورة، والذين يتبعونها ليسوا سوى حفنة من المعجبين الذين تعرفوا على شخصيتها، ومجرّد ملاحظة عابرة ياصديقي المفتش

"**هاستنجز**"، فالسيدة واعية تمامًا لما يجري حولها!

ضحكت وأنا أقول له:

– إذن فقد أوضحت المسألة برمتها ولكنك لاتستحقّ أي درجات على ذلك يا "**بوارو**"، فلم تكن المسألة أكثر من تعرّف على الشخصيّة.

– أحقًا؟ هل تتذكر كم مرة شاهدت "**ماري مارفيل**"على الشاشة يا صديقي العزيز؟

فكرت قليلاً قبل أن أجيب بقولي:

– حوالي عشر مرات.

– أما أنا فلم أرها سوى مرة واحدة ومع هذا فقد عرفتها ولم تعرفها أنت!

وقلت بخجلٍ:

– لقد تغيّر شكلها كثيراً.

وصاح "**بوارو**"قائلاً:

– يا لله! هل كنت تتوقّع أن تراها تسير في شوارع "**لندن**" مرتدية قبعة رعاة البقر، أم تسير عارية القدمين وخصلات من شعرها تتدلى كالفتاة الضالة؟ هل تذكر قضية الراقصة "**فاليري سانتكلير**"؟

هززت كتفي في مرارة بينما أردف "**بوارو**" يقول:

– ولكن لاتحزن يا صديقي العزيز، فلا يستطيع كل الناس أن يصبحوا "**هركيول بوارو**"، إنني أعرف ذلك جيداً.

وصحت في وجهه بصوتٍ يتنازعه الضحك والضيق:

– إنّك تمتدح نفسك في الواقع على وجهٍ لم أره في إنسان غيرك.

وقال "**بوارو**" في زهو:

– وماذا كنت تفعل لو كنت مكاني، عندما يرى الإنسان نفسه فريداً في نوعه ويعي ذلك جيداً! وعندما يشاركه الآخرون الرأي حتى... إذا لم أكن مخطئًا فإنّ

السيدة "**ماري مارفيل**"... وهنا سكت "**بوارو**" فقلت:

– ماذا كنت تنوي أن تقول؟

– إنّها تقصدنا دون أدنى شك.

– وكيف استنتجت ذلك؟

– الأمر في غاية البساطة، ليس هذا الشارع ارستقراطيًا يا صديقي العزيز! لايوجد فيه طبيب مشهور أو عيادة أسنان حديثة، كما لايوجد فيه بيوت أزياء، ولكن يوجد فيه مخبرٌ على الموضة. نعم يا صديقي العزيز هذا صحيح.. لقد أصبحت موضة.. الصيحة الأخيرة! إذا ضاعت حافظة أقلامٍ من أحد الأشخاص قيل له اذهب إلى المخبر "البلجيكي" صغير الحجم فهو رائع جدًّا! أسرع إليه! وأجدهم يتوافدون عليَّ زرافاتٍ ووحدانًا ياصديقي العزيز، بينما مشاكل بعضهم غاية في التفاهة!

دقّ جرس الباب وقال "**بوارو**":

– هذه هي السيدة "**مارفيل**".

كان "**بوارو**" صادق الحسّ كما هي العادة، ودخلت بعد لحظات النجمة الأمريكية، وكانت بلاشك من أكثر نجوم السينما شعبية وكانت الممثلة الأمريكية قد وصلت إلى "**إنجلترا**" مؤخرًا في صحبة زوجها "**جريجوري رولف**" وهو بدوره ممثل سينمائي، وكان زواجهما قد تمّ منذ عام في "**الولايات المتحدة**"، وكانت هذه أول زيارة يقومان بها لـ"**إنجلترا**" وأعد لهما استقبال ضخمٌ، وكان الجمهور يتهافت على رؤية النجمة الأمريكية؛ ليرى بنفسه ملابسها الرائعة وفراءها ومجوهراتها، وبصفةٍ خاصة الألماسة الكبيرة التي يطلق عليها "**نجمة الغرب**".

وقد كتب الكثير عن تلك الألماسة وقيل إنها مؤمن عليها بمبلغ خمسين ألف جنيه.

مرت بخاطري كل هذه التفاصيل وأنا أنضمّ إلى "**بوارو**" في الترحيب بالزائرة الحسناء الرقيقة، وكانت السيدة "**مارفيل**" نحيلة رقيقة – تبدو أقرب شبهًا بالبنات الصغيرات– ذات عينين زرقاوين واسعتين فيهما براءة الطفولة، قدم لها "**بوارو**"

مقعداً وبدأت حديثها على الفور قائلة:

– ربما فكرت يا سيد "**بوارو**" أنني شديدة الحماقة ،ولكن اللورد "**كروتشو**"كان يحدثني في الليلة الماضية عن الطريقة الرائعة التي أمطت بها اللثام عن موت ابن عمّه، ورأيت أن أطلب مشورتك في مشكلتي.. ربما تكون مشكلة تافهة – هكذا يصفها "**جريجوري**"– ولكنها تزعجني غاية الإزعاج.

سكتت الممثلة الأمريكيّة برهة؛ لتلتقط أنفاسها.

وقال "**بوارو**" في محاولةٍ لاستدراجها للحديث:

– أكملي قصتك فإنني مازلت في الظلام.

قالت وهي تفتح حقيبة يدها وتخرج منها ثلاثة خطابات سلمتها لـ "**بوارو**" :

– إنها هذه الخطابات.

فحص "**بوارو**" ظروف الخطابات بعناية وهو يقول:

– إنّها مكتوبة على ورق رخيص.. وقد كتب الاسم والعنوان على الآلة الكاتبة بعناية.. فلنر ما بداخلها.

اقتربت من "**بوارو**" ؛ لألقي نظرةً على الخطاب، وكانت الرسالة عبارة عن جملةٍ واحدةٍ مكتوبةٍ أيضًا على الآلة الكاتبة تقول:

"الألماسة الكبيرة هي العين اليسرى للإله ويجب أن تعود من حيث جاءت" .

ولم تخرج عبارات الخطاب الثاني عن المعنى السابق، إلاّ أنّ كلمات الخطاب الثالث كانت تقول:

"لقد حذّرناك فلم تستجيبي.. الآن نقول إنّ الألماسة سوف تؤخذ منك، وعندما يصبح القمر بدراً، سوف تنضمّ الألماستان اللتان كانتا العينين اليمنى واليسرى للإله لتعودا إلى مكانهما" .

وقالت السيدة "**مارفيل**" :

– اعتبرت الخطاب الأول مجرد مزاح، ولكنني بدأت أشعر بالدهشة عندما

تلقيت الخطاب الثاني، وعندما تلقيت الخطاب الثالث بالأمس أدركت أنّ الأمر أخطر مما كنت أتصور.

وقال "**بوارو**" :

– من الواضح أنّ هذه الخطابات لم تصلك عن طريق البريد.

– كلا.. سلمها باليد رجلٌ صينيّ وهذا ما يملؤني رعبًا.

– لماذا؟

– لأن "**جريجوري**" اشترى تلك الألماسة من رجلٍ صينيّ في "**سان فرانسيسكو**" منذ ثلاثة أعوام.

– أرى يا سيدتي أنّك تعتقدين أنّ الألماسة المقصودة هي...

سكت "**بوارو**" لتكمل الممثلة الحديث قائلة:

– "**نجمة الغرب**".. هذا صحيح، ويذكر "**جريجوري**" أن ثمة أسطورةٍ كانت مقرونة بتلك الألماسة إلاّ أنّ البائع الصينيّ لم يرغب في الحديث عنها. كانت الأسطورة تفزعه فزعًا مميتًا دفعه إلى الرغبة في التخلّص من الألماسة بعشر ثمنها. لقد كانت هذه الألماسة هدية زواجي من "**جريجوري**".

وقال "**بوارو**" وهو يهزّ رأسه مفكرًا:

– تبدو القصة خياليّة بعيدة عن التصديق ومع هذا فمن يدري؟

أرجوك يا "**هاستنجز**" أن تناولني مجلّد (التقويم).

وعندما أمسك "**بوارو**" المجلّد بين يديه قال وهو يقلب أوراقه:

– فلننظر متى يكون موعد اكتمال القمر بدراً.. آه.. إنّه يوم الجمعة المقبل أي بعد ثلاثة أيام.. حسنٌ يا سيدتي، أنت تريدين رأيي وإليك نصيحتي.. ربما كان الموضوع مجرد مزاحٍ. وقد لايكون الأمر كذلك. ولهذا أنصحك أن تعهدي إليّ بالمحافظة على الألماسة إلى ما بعد يوم الجمعة، وحينئذٍ نتخذ ما يحلو لنا من خطوات.

مرت سحابة خفيفة على وجه الممثلة ثم قالت:

– أخشى أن يكون ذلك ضربًا من المستحيل!

– إذن فأنت تريدين الاحتفاظ بها معك؟

ترددت الممثلة برهة ثم دسّت يدها في صدرها وأخرجت سلسلة رفيعة طويلة، ثم فتحت قبضة يدها لتبدو الألماسة المتوهجة في راحة يدها مغلّفة بإطارٍ من البلاتين..

وهمس "**بوارو**" في إعجاب:

– مدهشة! هل تسمحين أن ألقي نظرة عليها؟

أمسك "**بوارو**" الألماسة وأخذ يفركها بيده باهتمام، ثم أعادها لصاحبتها وهو ينحني انحناءة خفيفة قائلا:

– إنّها رائعة وليس فيها خدش واحد، وأنت تغامرين بحمل هذا الكنز.

وقالت الممثلة:

– كلا كلا يا سيد "**بوارو**".. إنّني شديدة الحرص عليها في الواقع، وأنا في العادة أضعها في صندوق المجوهرات الذي أودعه في خزانة الفندق.. نحن نقيم في فندق "**ماجنيفسنت**"، ولقد أحضرتها معي اليوم لمجرد أن أعرضها عليك.

– وسوف تتركينها معي، أليس كذلك؟ هذا ما ينصحك به بابا "**بوارو**".

– حسن يا سيد "**بوارو**".. ولكننا سوف نذهب إلى "**ياردلي تشيس**" يوم الجمعة القادم؛ لنقضي بضعة أيام مع اللورد "**ياردلي**" وقرينته.

أثارت كلماتها تلك في رأسي عاصفة من الذكريات المبهمة، بعض الإشاعات التي سمعتها من قبل.. منذ بضع سنوات قام السيد والسيدة "**ياردلي**" بزيارة لـ"**الولايات المتحدة**"، وراجت الإشاعات حول مغامرات نسائية للسيد "**ياردلي**"، ولكن الأمر المؤكد أن إشاعات أخرى ترددت عن علاقة السيدة "**ياردلي**" بأحد ممثلي السينما، وتذكرت القصة كلها في لحظة خاطفة، لقد كانت تلك العلاقة مع "**جريجوري رولف**".

واستأنفت السيدة "**مارفيل**" حديثها قائلة:

– سأطلعك على سرّ يا سيد "**بوارو**" .. سوف نبرم صفقة مع السيد "**ياردلي**"، حيث نعدّ العدّة الآن لالتقاط فيلم في الضيعة التي ورثها عن أجداده..

وصحت باهتمام:

– في "**ياردلي تشيس**"؟ إنّها واحدة من أشهر الأمكنة التي يقبل عليها الزوّار في "**إنجلترا**"..

هزّت السيدة "**مارفيل**" رأسها مؤمنة وأردفت تقول:

– أعتقد أنّها واحدة من مخلفات عهد الإقطاع، ولكن السيد "**ياردلي**" يطلب أجراً باهظًا لقاء التقاط مناظر الفيلم في ممتلكاته ولا أدري في الواقع ما إذا كانت الصفقة سوف تتمّ، إلا أنني و "**جريجوري**" نتوق إلى إتمام الصفقة.

وقلت في تردّد:

– ولكنك تستطيعين يا سيدتي زيارة "**ياردلي تشيس**" دون أن تأخذي الألماسة معك؟

تبددت النظرات الطفولية من عيني الممثلة وبدت أكبر سنًّا، ثم قالت بعد برهة:

– ولكنني أريد أن ألبس السلسلة هنالك.

وقلت على الفور:

– توجد بكل تأكيد مجموعة ضخمة من الجوهرات النادرة لدى السيدة "**ياردلي**"، ومن بينها الألماسة الكبيرة.

– نعم..

وسمعت "**بوارو**" يهمس بين أنفاسه:

– آه.. إذن فهذا هو السبب!

ثم أردف "**بوارو**" يقول بصوتٍ مرتفع:

– إذن فأنت ولاشك على معرفة سابقة بالسيدة "**ياردلي**" أم لعلّه زوجك؟

تردّدت السيدة "**مارفيل**" برهة قبل أن تجيب بقولها:

- عرفها "**جريجوري**" منذ ثلاث سنوات عندما كانت في زيارة لـ"**أمريكا**".. هل أتيح لأحدكما أن يقرأ مجلة "**همسات المجتمع**"؟.

أجاب كلانا بالنفي، وأردفت الممثلة تقول:

- لقد وجهت هذا السؤال؛ لأن العدد الصادر هذا الأسبوع يتضمن مقالاً عن الجواهر المشهورة، ومن المثير للدهشة حقًّا أن أمسكت الممثلة عن إتمام حديثها، وذهبت إلى الجانب الآخر من الحجرة؛ لأبحث عن عدد المجلة موضوع الحديث على منضدة صغيرة، وعندما عثرت عليها أخذتها الممثلة، وعندما وجدت المقال بدأت تقرأ بصوتٍ مرتفع:

... ويمكن أن يضاف إلى الأحجار الكريمة المشهورة.. "**نجمة الشرق**".. وهي ألماسة من بين المجموعة التي تقتنيها أسرة "**ياردلي**". جاء بهذه الألماسة أحد أسلاف اللورد "**ياردلي**" عند عودته من "**الصين**"، ويقال إنّ قصة خيالية تحوم حول الألماسة، وحسبما تروي هذه القصة أنّ تلك الألماسة كانت العين اليمنى لتمثال أحد الآلهة في معابد "**الصين**" القديمة، وأنه توجد ألماسة مماثلة في الحجم واللون يقال إنها العين اليسرى للإله، وتشير القصة إلى أنّ هاتين الألماستين ستتعرضان للسرقة، وأن واحدة سوف تذهب إلى الشرق والأخرى إلى الغرب، ثم يتاح لهما أن تعودا إلى مكانهما الأول مرة أخرى حيث ينتصر الإله، ومن غريب المصادفات أنه توجد في الوقت الحاضر ألماسة تنطبق عليها هذه الأوصاف يطلق عليها "**نجمة الغرب**" أو "**النجمة الغربية**"، وهي في حوزة الممثلة السينمائية الشهيرة السيدة "**ماري مارفيل**"، ولعل المقارنة بين الألماستين تكون أمرًا مسليًا.

وقال "**بوارو**":

- مدهش! لاشك في أنّها قصة خيالية من الدرجة الأولى..

واستدار "**بوارو**" نحو الممثلة قائلاً:

– وأنت ياسيدتي ألا تخشين من التقاء الألماستين في مكان واحد فحتى لايظهر أحد الصينيين ليختطفهما ويعيدهما إلى "**الصين**"؟

كان في لهجة "**بوارو**" بعض السخرية وإن كنت قد لمست فيها بعض الجد، وقالت الممثلة:

– لا أصدّق أن الماسة السيدة "**ياردلي**" ترقى إلى مستوى الماستي، ومع هذا فسوف أذهب لأرى.

لم يكن في وسعي أن أخمن الكلمات التي كان "**بوارو**" يريد أن يضيفها، فقد فتح الباب في تلك اللحظة ودخل بطل القصة "**جريجوري رولف**" قائلا:

– فكرت في أن ألحق بك يا "**ماري**" وهأنذا.. حسن، ما رأي السيد "**بوارو**" في مشكلتنا الصغيرة؟ ألا يرى مثلي أنّها مجرد مزحة؟

افترّ ثغر "**بوارو**" عن ابتسامة عريضة ثم قال:

– سواء أكان الأمر مزاحًا أم جادًّا فقد نصحت زوجتك بألاّ تأخذ الألماسة معها إلى "**ياردلي تشيس**" يوم الجمعة المقبل. وقال "**رولف**":

– أنا أشاركك نفس الرأي ياسيدي.. هذا ما قلته لـ "**ماري**" ولكنها على ما أعتقد كسائر بنات جنسها تأبى أن ترى سيدة تتميّز عليها في مجال المجوهرات.

وقالت "**ماري**" غاضبة:

– أي هراء هذا الذي تقول يا "**جريجوري**"!

هز "**بوارو**" كتفيه قائلاً:

– سيدتي! لقد أسديت إليك النصح وليس لدي ما أضيفه..

انحنى "**بوارو**" لزائريه وهو يشيعهما إلى الباب، وعندما عاد إليّ قال:

– آه.. يا للنساء! ولكن الزوج الطيّب عرف كيف يضرب على الوتر الحسّاس، ومع هذا فلم يكن موفقًا في أسلوبه! لم يكن موفقًا قط!

رويت لـ"**بوارو**" ما علق في ذاكرتي من معلومات مبهمة وهزّ رأسه مؤمنًا وهو

يقول:

– هذا ما فكّرت فيه، ورغم هذا فيوجد شيء غامض وراء هذه القصة، سوف أخرج بعد إذنك يا صديقي العزيز في نزهة؛ لأستنشق الهواء النقي.. أرجوك ألا تغادر المكان قبل عودتي فلن أتغيّب طويلاً.

كنت نصف نائمٍ على المقعد عندما طرقت صاحبة البيت الباب ثم أطلت برأسها قائلة:

– هناك سيدة أخرى ترغب في مقابلة السيد "**بوارو**"، وعلى الرغم من أنّني أخبرتها أنه في الخارج إلاّ أنّها تصرّ على الانتظار؛ لأنها قادمة من الريف.

– أوه.. دعيها تدخل يا سيدة "**مارشيزون**" فربما كان باستطاعتي مساعدتها.

عندما دخلت السيدة بعد لحظات دقّ قلبي بعنفٍ وقد تعرفتها، فقد كانت صور السيدة "**ياردلي**" تنشر بين الحين والحين في أخبار المجتمع وقلت لها:

– تفضلي بالجلوس يا سيدة "**ياردلي**".. صديقي "**بوارو**" في الخارج ولكنني واثق بعودته خلال فترةٍ قصيرةٍ..

أعربت السيدة "**ياردلي**" عن شكرها أثناء جلوسها.. كانت طرازاً مختلفًا كل الاختلاف عن السيدة "**مارفيل**"، فقد كانت طويلة ذات عينين برّاقتين ووجه ارستقراطي شاحب حزين، وفكرت في أن أرتفع إلى مستوى الموقف، ولم لا؟ كنت أشعر أثناء وجود "**بوارو**" ببعض المشقّة وعدم المقدرة على استعراض مواهبي، فممّا لاشك فيه أنني أمتلك أيضًا المقدرة على التحليل والاستنتاج، وقلت بهدوء:

– سيدة "**ياردلي**".. إني أعرف سبب مجيئك.. لقد تلقيت خطابات تهديد بشأن الألماسة.

ففتحت السيدة "**ياردلي**" فمها من الدهشة وازداد شحوب وجهها وهي تقول بذعرٍ:

– أنت تعرف؟ كيف؟

– عن طريق عملية استنتاج منطقي، فإذا كانت السيدة "**مارفيل**" قد تلقت خطابات تحذير. . .

وقاطعتني السيدة بقولها:

– أكانت السيدة "**مارفيل**" هنا؟

– نعم.. وقد غادرت المكان منذ قليل، وكما كنت أقول، إذا كانت صاحبة إحدى الألماستين قد تلقّت تهديداً، فمن الطبيعي أن تتلقى صاحبة الألماسة الأخرى نفس خطابات التهديد، ألا ترين أنّ الأمر بسيطٌ تمامًا؟ هل أنا على حقّ في استنتاجي؟

ترددت السيدة لحظة وهي تفكر فيما إذا كانت تستطيع أن توليني ثقتها، ثم نكست رأسها في استسلامٍ وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة واهنة وهي تقول:

– إنّ الأمركما تقول.

– هل سلمت إليك الخطابات باليد عن طريق رجل صينيّ؟

– كلا.. لقد وصلتني بالبريد، ولكن أخبرني، هل مرّت السيدة "**مارفيل**" بنفس التجربة؟

قصصت عليها ما لدي من معلومات وهي تنصت باهتمامٍ بالغٍ ثم قالت:

– هذا يوضح الأمر.. خطاباتي إذن صورة من الخطابات التي وصلتها. صحيح أن الخطابات قد أرسلت لي عن طريق البريد ولكنّها تحمل عطراً غريبًا يوحي بالشرق.. ما معنى كل هذا؟

هززت رأسي قائلاً:

– هذا ما يجب أن نتوصل إليه، هل أحضرت الخطابات معك؟

ربما استطعنا أن نهتدي إلى شيءٍ من أختام البريد على الظروف.

– لسوء الحظ مزقت الظروف، لاشك في أنك تدرك أنني اعتبرت الموضوع مجرّد مداعبة، أيمكن أن تكون هناك عصابة صينية تسعى في الواقع إلى استعادة

الألماستين؟ إنّ هذا يبدو أمراً بعيد الاحتمال.

استعرضنا الحقائق المرّة بعد المرّة دون أن نتمكّن من التوصّل إلى معرفة السرّ، ونهضت السيدة "**ياردلي**" وهي تقول:

– أعتقد أنّني لم أعد في حاجةٍ لانتظار السيد "**بوارو**"، تستطيع أن تخبره بالقصّة وشكراً لك يا سيد.. وترددت السيدة برهة وهي تمدّ يدها لي، فقلت:

– الكابتن "**هاستنجز**"

– آه بالطبع. كم أنا غبيّة.. إنّك صديقٌ لآل "**كافنديش**". أليس كذلك؟ لقد كانت "**ماري كافنديش**" هي التي أرسلتني إلى السيد "**بوارو**".

عندما عاد صديقي من الخارج، وجدت متعةً في أن أروي له تفاصيل ما حدث في غيابه، ووجّه إليّ "**بوارو**" العديد من الأسئلة ليحصل على مزيدٍ من التفاصيل، واحتدّ عليّ أكثر من مرة مما أوحى إليّ أنّه كان شديد الاستياء؛ لعدم حضوره لقاء السيدة "**ياردلي**"، وكان "**بوارو**" قد تعود على أن يهوّن من مقدرتي، ومن ثم فقد داخله شعورٌ بالغيرة؛ لأن تصرفي كان سليماً وغير قابل للنقد، وأحسست بالزهو وحاولت أن أكبت هذه المشاعر؛ حتى لاأثير أعصابه، وقال "**بوارو**" في النهاية:

– حسن.. إنّ العقدة تتضخم.. أرجوك أن تناولني ذلك المجلّد الضخم الموضوع على الرفّ العلوي..

استغرق "**بوارو**" في تقليب صفحات المجلّد حتى عثر على بغيته وقال: هذا هو ما نبحث عنه.. "**ياردلي**" اللورد العاشر.. اشترك في حرب جنوب «**إفريقيا**».. كلا.كلا.. لا أهمـيّة لذلك. تزوج في "مارس" (آذار) 1907 من السيدة "**مود ستوبرتون**" الابنة الرابعة للبارون "**كوتريل الثالث**".. النوادي.. مقرّ الإقامة.. آه. هذه هي المعلومات المطلوبة وإن كانت لاتقدّم الشيء الكثير. ولكننا سوف نذهب في الغد للالتقاء بالسيد..

وقلت بدهشةٍ:

– ماذا تقول؟

– نعم.. لقد أرسلت له برقية.

– ظننت أنّك نفضت يديك من هذه القضية؟

– إنّني لاأعمل لحساب السيدة "**مارفيل**" مادامت قد رفضت الاستماع لنصيحتي، إنّ ما أفعله الآن إرضاء لرغبتي الشخصيّة.. إرضاء لـ "**هركيول بوارو**"!.

– ولمجرّد إرضاء نزوتك ترسل بكل هدوء برقيّة للورد "**ياردلي**"؟ لاأظنّ أنّه سوف يقابل ذلك بالارتياح..

– على العكس، فلو أنّني استطعت أن أحافظ على الماسة أسرته، فلابد أن يكون شاكرًا لي هذا الصنيع.

وسألته بلهفةٍ:

– إذن فانت تعتقد أنّ هناك خطة حقيقية لسرقة الألماسة؟

وأجاب "**بوارو**" بمنتهى الهدوء:

– هذا أمرٌ شبه مؤكّد.. كل الأدلة تشير إلى ذلك.

ومنعني "**بوارو**" بإشارةٍ من يده؛ حتى لا أسترسل في توجيه المزيد من الأسئلة ثم قال:

– والآن أرجوك.. دعنا من بلبلة الأفكار ولنر أين وضعت المجلّد.. ألا ترى أنني أرتّب كتبي في المكتبة بحسب أحجامها وقد أخطأت في إعادة المجلّد إلى غير موضعه..؟ النظام والأسلوب يا "**هاستنجز**".. ولقد نصحتك أكثر من مرّة.

– تمامًا..

ثم أعدت المجلّد إلى مكانه الصحيح.

– اتضح لي أن اللورد "**ياردلي**" شخصيّة مرحة، عالي الصوت، رياضي، أحمر الوجه جذّاب الشخصية، وقال اللورد ببشاشة:

– هذه مهمّة غير عاديّة يا سيد "**بوارو**" ولا يتبيّن فيها الرأس من القدمين، ويبدو أنّ زوجتي قد تلقت عدداً من الخطابات الغريبة وهو نفس الشيء الذي حدث للسيدة "**مارفيل**"، ما معنى كل هذا؟

فناوله "**بوارو**" نسخة من مجلة "**همسات المجتمع**".. قائلا:

– أريد أن أسأل أولاً يا سيدي اللورد عمّا إذا كانت المعلومات الواردة في هذا المقال صحيحة؟

قرأ اللورد المقال على عجلٍ واربدّ وجهه من الغضب ثم قال بحدّةٍ:

– مجرّد هراء! لاتوجد أية قصة تحوم حول الألماسة. لقد جئت بها أصلاً من "**الهند**" ولا أعتقد أنني سمعت عن كل هذا الذي يقال عن الإله الصينيّ.

– ومع هذا فإنّ الألماسة معروفة باسم.. "**نجمة الشرق**"..؟

وسأل اللورد باستياء:

– ولنفترض أنّ الأمر كذلك؟

ابتسم "**بوارو**" ابتسامة فاترةً ولم يجب بشيء عن السؤال ثم قال:

– كل ما أطلبه منك ياسيدي اللورد أن تترك المهمة بأسرها لي وأن تعمل بما أشير به دون أدنى تحفّظ، في هذه الحالة ربما أمكن تجنب الكارثة.

– إذن فأنت تتوقّع حدوث شيء بالفعل؟

– هل تفعل ما أنصح به؟

– بالطبع.. ولكن..

توقّف اللورد عن الاسترسال في الحديث، وتابع "**بوارو**" حديثه قائلاً:

– حسنٌ.. اسمح لي إذن أن أوجّه إليك بعض الأسئلة.. تلك الصفقة بشأن "**ياردلي تشيس**"، هل تمّ الاتفاق على تفاصيلها بينك وبين السيد "**رولف**"؟

– أوه.. هل حدّثك بشأن تلك الصفقة؟ كلا لم يتمّ الاتّفاق نهائيًّا.

وتردّد اللورد برهة ثم أردف يقول:

– ربما استطعنا أن نصل إلى اتفاق.. لقد ارتكبت بضع حماقات في الآونة الأخيرة ووقعت في الديْن يا سيد "**بوارو**" ولكنني آمل أن أرتب الأمور لأستعيد توازني.. إنني مولعٌ بأطفالي وأودُّ أن أعيش آمنًا في مزرعتي، وقد عرض عليّ "**جريجوري رولف**" عرضًا ضخمًا– يتيح لي أن أقف على قدمي مرة أخرى.. ربما لم أكن أميل إلى إبرام الصفقة؛ فأنا أكره أن يمتلئ المكان بالمصورين والممثلين– ولكنني مع هذا مضطر إلى قبول العرض ما لم....

توقف اللورد عن الحديث فجأة. وقال "**بوارو**" بخبث:

– إذن فلديك مخرجٌ آخر لإنقاذ الموقف؟ هل تسمح لي بأن أخمن؟ يتمثل الحلّ الآخر في بيع "**نجمة الشرق**"؟ فأومأ اللورد "**ياردلي**" برأسه مؤمنًا وهو يقول:

– هذا صحيح.. لقد ظلّت الألماسة في حوزة الأسرة لبضعة أجيال، ولكن الصعوبة تتمثّل في عدم وجود المشتري لمثل هذه الألماسة الثمينة. وقد كلّفت بيوت الألماس المتخصّصة: "**هو فبرج**" و"**هاتون جاردن**" بالبحث عن المشتري المناسب. وإذا لم يتمّ ذلك بسرعةٍ ساء موقفي تمامًا.

– سؤال أخير إذا سمحت.. أيّ الفكرتين تحبّذ السيدة "**ياردلي**"؟

– أوه.. إنها تعارض فكرة بيع الألماسة بشدّة.. أنت تعرف مشاعر النساء، ومن ثمّ فهي تميل إلى إبرام صفقة الفيلم.

قال "**بوارو**" بهدوء:

– إنني مقدّرٌ موقفها..

وسكت "**بوارو**" برهة ثم وقف فجأة قائلاً:

– هل ستعود إلى "**ياردلي تشيس**" على الفور؟ حسنٌ.. لاتقل شيئًا لأي إنسان.. وبعد إذنك لك أن تتوقّع حضورنا هذا المساء حيث نصل بعد الخامسة بقليل.

– حسنٌ جدًّا ولكنني لاأرى...

وقاطعه "**بوارو**" برقة قائلاً:

– لاتقلق يا سيدي اللورد.. ألا تريد مني أن أساعدك في المحافظة على الألماسة؟.

– بلى ولكن...

– إذن افعل ما أقوله..

وغادر اللورد الحجرة وعلى وجهه علامات القلق.

✽✽✽✽✽

كان وصولنا إلى "**ياردلي تشيس**" في الخامسة والنصف، وقادنا الخادم إلى القاعة العتيقة حيث كانت النار مشتعلة في المدفأة، شاهدنا السيدة "**ياردلي**" مع طفليها، وكان من الواضح أنّ الأم شديدة التعلق بأطفالها، وكان اللورد "**ياردلي**" يقف بالقرب منها ناظراً إلى طفليه بابتسامةٍ حانيةٍ، وأعلن الخادم وصولنا قائلاً:

– السيد "**بوارو**" والكابتن "**هاستنجز**".

تطلعت إلينا السيدة "**ياردلي**" بفزع، وبدا التردّد على اللورد الذي نظر إلى "**بوارو**" وكأنه ينتظر منه تعليمات، وكان المخبر الصغير الحجم نداً للموقف حيث قال:

– معذرة! إنّني أحقّق في ذلك الموضوع الخاص بالسيدة "**مارفيل**"، وهي قادمةٌ لزيارتكم يوم الجمعة المقبل، أليس كذلك؟ إنني أقوم أولاً بجولةٍ صغيرة؛ لأتأكّد من أنّ كل شيء على ما يرام، كما أنّني أرغب في سؤال السيدة "**ياردلي**" عمّا إذا كانت تذكر أيّ شيءٍ عن خاتم البريد الموجود على ظروف الخطابات التي تلقّتها.

هزّت السيدة "**ياردلي**" رأسها علامة للنفي قائلة:

– للأسف لاأتذكر ربما كان ذلك غباء مني، ولكنني لم آخذ الأمر على محمل الجدّ.

وسأل اللورد "**ياردلي**":

– هل ستقضيان الليلة هنا؟

وقال "بوارو" :

– لقد تركنا الحقائب في المشرب؛ حتى لانزعجك يا سيدي اللورد.

وقال اللورد بحرارة:

– كلا كلا أؤكد لك.. سوف نبعث إلى المشرب من يحمل الحقائب.

لم يتردّد "بوارو" في الجلوس بجوار السيدة "ياردلي" وشرع يداعب الأطفال وسرعان ما اكتسب صداقتهم وجرّني معه في اللعبة، وقال "بوارو" لربّة البيت:

– إنّك أمّ ممتازة ياسيدتي.

وطلبت السيدة "ياردلي" من وصيفتها أن تصحب الأطفال إلى حجرتهم، ثم أخذت تسوّي خصلات شعرها النافرة وهي تقول:

– إنّني أحب أطفالي.. فقال "بوارو" وهو ينحني لها انحناءة بسيطة:

– وهم كذلك يبادلونك نفس المشاعر والحق معهم.. بعد لحظات دخل الخادم يحمل برقيّة سلّمها إلى اللورد "ياردلي"، وعندما فرغ من قراءتها كان يبدو عليه الانفعال بوضوح، ثم سلّم البرقيّة لزوجته ونظر إلى "بوارو" قائلاً:

– لحظة واحدة يا سيد "بوارو".. أحسّ بأنه يجب عليك أن تقف على حقيقة الأمر، جاءت هذه البرقيّة من "هو فبرج" ليخبرني بالعثور على راغب في شراء الألماسة.. وهو أمريكي سوف يبحر إلى "الولايات المتحدة" غداً، وسوف يرسل واحداً من رجاله الليلة ليعاين الألماسة.. يا إلهي لو أنّ هذا الأمر تمّ!....

خانته الكلمات فلم يستطع إكمال جملته، وقالت السيدة:

– أرجو ألا تبيعها يا "جورج"، لقد ظلّت في حوزة الأسرة منذ زمن بعيد..

وسكتت السيدة برهة ثم استأذنت لتغيير ثيابها استعداداً للعشاء، وقالت لـ "بوارو" :

– أعتقد أنه من الأفضل أن أستعرض مجوهراتي.. لقد وعدني "جورج " بأن يعيد ترتيب الأحجار الكريمة في العقد الماسي ولكنه لم يف بوعده قطّ.

غادرت السيدة "ياردلي" الحجرة على الفور، وبعد نصف ساعة كنّا لانزال في انتظارها للعشاء وظهرت السيدة بالباب ترتدي ثوبًا ناصع البياض، وحول جيدها عقد تلمع ألماسته في الضوء كجمرات من النار، وكانت السيدة تلمس بيدها العقد لمسةً خفيفةً وقالت بسعادةٍ:

– انتظروا حتى أنير الأضواء لتمتعوا أعينكم بأروع عقدٍ عرفته "إنجلترا" . .

وبينما كانت السيدة "ياردلي" تمدّ يدها لتضغط الزر حدث ما لم يتوقعه أحدٌ، انطفأت الأنوار كلها فجأةً وسمعنا صوت الباب يغلق بعنفٍ وترامت إلينا من الخارج صرخةٌ نسائيةٌ مدوية، وصاح اللورد بانفعال:

– يا إلهي! هذا صوت "مود"! ما الذي حدث؟ اندفعنا دون تفكيرٍ نحو الباب ونحن نصطدم بعضنا ببعضٍ في الظلام، ومضت بضع دقائق قبل أن نعثر على السيدة "ياردلي" ممددة على الأرض فاقدة الحراك وحول رقبتها علامة قرمزية تخلفت عن اختطاف العقد بعنف، وبينما نحن نفكر فيما إذا كانت ميتة أم لاتزال على قيد الحياة، فتحت السيدة "ياردلي" عينيها ببطءٍ وهمست بصوتٍ ضعيفٍ:

– الرجل الصيني . . الرجل الصيني . . بالباب الجانبي .

قفز اللورد "ياردلي" نحوالباب الجانبي وهو يزمجر وأنا أسير بجواره وقلبي يدق بعنف . . الرجل الصيني مرة أخرى! كان الباب الجانبي المقصود يقع على بعد بضع خطواتٍ من المكان الذي وقعت عنده المأساة، وعندما وصلنا إلى الباب أطلقت على الرغم مني صيحة دهشة، فقد كان العقد الماسي ملقى على الأرض على بعد عشر ياردات، وكان من الواضح أنه سقط من اللصّ أثناء فراره، ولكنني أطلقت صيحة دهشة أخرى عندما اكتشفت أن مكان "نجمة الشرق" في العقد كان خاليًا من الألماسة الثمينة، وقلت بضيق:

– هذا يفسر الأمر . . ليس اللصّ شخصًا عاديًّا؛ لأن هذه الألماسة كانت كل ما يبتغيه .

– ولكن كيف تمكّن اللصّ من الدخول؟

– من خلال هذا الباب.

–ولكن الباب مغلقٌ بصفةٍ دائمة.

هززت رأسي نفيًا وأنا أقول:

– ولكنه ليس مغلقًا الآن..

ودفعت الباب بيدي أثناء الكلام فاستجاب،وحدث في نفس اللحظة أن سقطت قطعة صغيرة من قماش حريري مطرزٍ على الأرض كانت معلقة بحافة الباب، وكان من الواضح أنها انتزعت من روب الرجل الصيني أثناء فراره، وقلت أفسّر الأمر:

– لقد اشتبك ثوبه بالباب خلال مسارعته بالهرب.. فلنسرع وراءه؛ لأنه لايمكن أن يكون قد ابتعد كثيرًا عن المكان.

وبحثنا عن الجاني دون جدوى، فقد ساعده الظلام على التسلل من المكان، وأرسل اللورد واحداً من رجاله لإخطار الشرطة، بينما قام "**بوارو**" بالإسعافات الضرورية للسيدة "**ياردلي**" وكان بارعًا براعة السيدات في مثل هذه المهام وأفاقت السيدة "**ياردلي**" لتروي القصة فقالت:

– كنت على وشك أن أضيء النور الكبير في القاعة عندما هاجمني شخصٌ من الخلف وانتزع العقد من رقبتي بعنفٍ وطرحني على الأرض، ثم سارع بالفرار من الباب الجانبي، وشاهدت الزيّ الذي يرتديه من الخلف وتأكد لي أنه رجلٌ صينيّ.

توقّفت السيدة "**ياردلي**" عن الحديث عندما دخل الخادم ليقول موجهًا الحديث إلى اللورد:

– وصل مندوب من مؤسسة "**هو فبرج**" يا سيدي اللورد وهو يقول إنّك تتوقع مجيئه.

– يا رب السموات! أعتقد أنه يجب عليّ أن أقابله.. لن أقابله هنا يا "**مولنجز**".. سوف أستقبله في المكتبة.

فانتحيت بـ "**بوارو**" جانبًا وقلت له في همس:

– ألا ترى يا صديقي العزيز أنه من الأفضل لنا أن نعود إلى "**لندن**"؟

– هل تعتقد ذلك يا "**هاستنجز**"؟ لماذا؟

وقلت وأنا أسعل:

– حسنٌ.. لم تجر الأمور وفق ما نشتهي.. أليس كذلك؟ أعني.. طلبت من اللورد أن يكون تحت تصرفك حتى لايحدث مكروه، ثم حدث أن اختفت الألماسة تحت سمعك وبصرك.

وقال "**بوارو**" في أسى واضح:

– هذا صحيح.. لم يكن هذا واحداً من انتصاراتي الضخمة.

فابتسمت للطريقة التي يصوّر بها "**بوارو**" الموقف ومضيت في خطتي للتشفي به قائلاً:

– هكذا– والتمس لي العذر إذا خانني التعبير– تكون قد قلبت الأمور رأسًا على عقب، وقد يكون من الأكرم لنا أن ننسحب من المكان على الفور.

– وماذا بشأن العشاء الفاخر الذي أعدّه لنا اللورد "**ياردلي**"؟

وقلت بنفاد صبر:

– أوه.. أي عشاء؟!

– يا إلهي! هل تريد أن تتصرّف في هذه البلاد بعقليّة المحقّق الذي لايكترث بقواعد اللياقة!

وقلت بنفس اللهجة:

– ربما كان هناك سبب آخر يدعونا إلى العودة إلى "**لندن**" باسرع ما يمكن..

– وما ذلك السبب ياصديقي؟

– الألماسة الأخرى التي لدى السيدة "**مارفيل**".

– حسنٌ.. ماذا بشأنها؟

ولاحظت عدم اكتراثه فقلت في شيء من الحدّة:

– ألا تدرك أبعاد الموقف؟ إذا كان اللصوص قد استولوا على إحدى الألماستين فلابدّ أن يسعوا إلى الأخرى.

تراجع "**بوارو**" خطوة إلى الخلف وهو ينظر إليّ بإعجاب وقال:

– حقًّا! إن عقلك يعمل بطريقة رائعة ياصديقي! تصوّر أن ذلك لم يخطر ببالي قط..ولكن مايزال لدينا متسعٌ من الوقت، لن يكتمل القمر قبل يوم الجمعة.

هززت رأسي بعصبية وأنا أفكر في نظرية اكتمال القمر لعدم اقتناعي بها، واستطعت في النهاية أن أقنع "**بوارو**" بوجهة نظري، وغادرنا المكان بعد أن تركنا كلمة اعتذار رقيقةٍ لـ اللورد "**ياردلي**".

كانت فكرتي أن نتوجه رأسًا إلى فندق "**ماجنيفسنت**" وأن ننبّه السيدة "**مارفيل**" لما حدث. ولكنّ "**بوارو**" عارض الفكرة وأصرّ على أن ننتظر إلى الصباح،ولكنني رأيته في الصباح على نفس الدرجة من عدم الاكتراث وأوحى إليّ ذلك أن الخطأ الذي ارتكبه دفعه إلى ترك القضية برمتها، وردًّا على استفساراتي كان رأيه منطقيًّا ومقنعًا، فلم نكن في حاجةٍ إلى الالتقاء بالممثلة وقد نشرت صحف الصباح قصّة اختفاء.. "**نجمة الشرق**"..

أثبتت الأحداث أن شكوكي كانت في موضعها، فقد رنّ جرس التليفون في حوالي الساعة الثانية وأجاب "**بوارو**" عن المتحدث بقوله:

– حسنٌ.. سوف آتي حالاً..

ونظر إليّ "**بوارو**" في خجل وهو يقول:

– ما رأيك يا صديقي العزيز؟ ألماسة السيدة "**مارفيل**" قد تعرضت للسرقة أيضًا!

وصحت وأنا أقفز من مكاني:

– ماذا تقول؟ وما رأيك الآن في نظرية اكتمال القمر.. فنكس "**بوارو**" رأسه ولم يجب، وتابعت حديثي قائلاً:

– ومتى حدثت السرقة؟

– هذا الصباح على ما فهمت.

هززت رأسي معبراً عن الأسى ثم قلت له:

– لو أنك استمعت إليّ.. هأنت ترى أنني كنت محقًّا.

وقال "**بوارو**" بحذر:

– هكذا يبدو الأمر يا صديقي.. المظاهر خداعة كما يقولون..

استأجرنا إحدى سيارات الأجرة وتوجهنا إلى الفندق الذي تنزل به السيدة "**مارفيل**" وقلت أثناء الرحلة:

– كانت فكرة اكتمال القمر خطة ذكية حتى نركز على يوم الجمعة، من المؤسف أنك لم تتنبه إلى ذلك.

وقال "**بوارو**" ببساطة:

– للأسف.. لايستطيع الإنسان أن يفكّر في كل شيء.

وقلت له برقة لأواسيه:

– لاتبتئس.. أتمنى لك حظًّا أوفر في المرة القادمة.

استقبلنا مدير الفندق في مكتبه، وكان معه "**جريجوري رولف**" واثنان من رجال "**اسكتلنديارد**" وكان يجلس في مواجهتهم كاتب الفندق، وهزّ "**رولف**" رأسه محييًا ثم قال:

– إننا وصلنا إلى قمة المأساة ولكن ما حدث غريبٌ حقًّا..لاأستطيع أن أتخيّل كيف استطاع اللصّ أن يتحكّم في أعصابه بتلك الدرجة من البرود.

وكانت بضع دقائق كافية لكي نقف على حقيقة ما حدث.

غادر السيد "**رولف**" الفندق في الساعة الحادية عشرة والربع، وفي الحادية عشرة والنصف وصل إلى الفندق رجلٌ شديد الشبه بـ "**رولف**" وطلب إلى الكاتب صندوق المجوهرات، ووقع على إيصال الاستلام الذي سلّمه له الكاتب قائلاً إن

التـوقيع مـختلف بعض الشيء عن توقيـعاته بسـبب إصابة يده أثناء نـزوله من التاكسي، ولكن الكاتب ابتسـم قائلاً إنه لايوجد فارق ملموس، وردّ عليه الرجل ضاحكًا بقوله:

– حسن.. لاتنظر إليّ هذه المرة على الأقلّ كواحدٍ من المحتالين، فقد تلقيت بعض خطابات التهديد من رجل صيني، وأسوأ ما في الأمر أنني أشبه الصينيين بالفعل إنه أمر يتعلق بشكل عيني.

وقال الكاتب الذي كان يروي لنا القصة:

– نظرت إلى وجهه وأدركت على الفور المعنى الذي يقصده.. فقد كانت العينان مسحوبتين من الجانبين مثل رجال الشرق، ولم أفطن إلى ذلك من قبل.

وصاح "**رولف**" وهو يقترب بوجهه من الكاتب:

– وهل تلاحظ ذلك الآن؟

حملق الكاتب إلى وجهه برهة ثم قال:

– كلا ياسيدي.. إنّني لا أجد ذلك الشبه الآن.

وعلق رجل "**اسكتلنديارد**" على ذلك بقوله:

– منتهى الجرأة، فقد تخيّل أن العينين يمكن أن تكونا وسيلة لتعرفه فأبدى تلك الملاحظة؛ ليبدد أي شك يمكن أن يخطر على البال .. لابد أنه كان يراقبك ورآك تغادر الفندق وتسلل إليه بمجرد ابتعادك..

وسألت:

– وماذا بشأن صندوق المجوهرات؟

– عثرنا عليه في ردهة الفندق وكانت المجوهرات كلها موجودة عدا.. "**نجمة الغرب**"..

حدّق كل منا إلى الآخر، فقد كانت المسألة كلّها غامضة تمامًا وتبدو أقرب إلى الخيال، وهبّ "بوارو" واقفًا ثم قال معتذراً:

– لم أستطع أن أقدّم كثيراً من العون.. هل تسمح لي بمقابلة السيدة "**مارفيل**"؟.

– أخشى أن تكون الصدمة قد أثرت فيها.

– في هذه الحالة أرجو أن تسمح لي ببضع كلمات على انفراد يا سيد "**رولف**".

– بالتأكيد.

وعاد "**بوارو**" بعد حوالي خمس دقائق وقال بمرحٍ:

– والآن إلى مكتب البريد يا صديقي لأرسل برقية.

– لمن البرقية؟

– لـ اللورد "**ياردلي**".. تعال معي يا صديقي.. أنا أعرف مشاعرك إزاء هذا الموقف التعس.. لم أستطع أن أفعل شيئًا ولو أنك تعهدت بهذه المسألة فربما حالفك التوفيق الذي خانني هذه المرة.. إنني أعترف بخطئي ولننس الموضوع الآن ولنفكر في الغداء..

كانت الساعة الرابعة عندما ذهبنا إلى مكتب "**بوارو**"، وكان اللورد "**ياردلي**" جالسًا في انتظارنا وكان يبدو عليه الضيق وقال بمرارة:

– جئت بمجرّد أن تلقيت برقيتك.. ولقد توجهت إلى مؤسسة "**هو فبرج**" حيث علمت أنهم لم يرسلوا واحداً من رجالهم بالأمس كما أنهم لايعرفون شيئًا عن البرقية.. هل تعتقد...

رفع "**بوارو**" يده قائلا:

– أقدّم لك اعتذاري. .أنا الذي أرسلت لك البرقية واستأجرت الرجل..

وقال اللورد بدهشة:

– أنت؟ لماذا؟

– كانت فكرتي أن أدفع الأمور إلى الحركة.

–تدفعها إلى الحركة؟ يا إلهي!

وقال "**بوارو**" وعلى وجهه أمارات السعادة:

– وقد نجحت خطتي تمامًا ياسيدي اللورد.. لهذا فإنه يسعدني أن أقدم لك هذه الهدية.

فتح "**بوارو**" قبضة يده لتبدو فيها الماسة متلألئة، وصاح اللورد "**ياردلي**" بانفعال:

– "**نجمة الشرق**".. ولكنني لا أفهم...

وأجابه "**بوارو**" باسمًا:

– كلا؟ لاأهمية لذلك.. صدّقني، كان ينبغي أن تُسرق الألماسة، ولقد وعدتك بالمحافظة عليها وقد بررت بوعدي، وارجوك أن تسمح لي بالاحتفاظ بالسر، وأن تبلغ السيدة "**ياردلي**" أطيب تمنياتي وسعادتي الغامرة إذ تمكنت من إعادة الألماسة لها.. طاب يومك ياسيدي اللورد.

شيع المخبر الصغير الحجم ضيفه إلى الباب باسمًا ثم عاد وهو يفرك يديه في سرورٍ وقلت له:

–"**بوارو**".. هل تراني فقدت صوابي؟

– كلا يا صديقي العزيز ، ولكنك كعادتك في حالة ضباب ذهني!

– كيف استعدت الألماسة؟

– من السيد "**رولف**".

– "**رولف**"؟

– نعم ياصديقي! لم تكن خطابات التحذير والرجل الصيني والمقال المنشور في مجلّة.. "**همسات المجتمع**".. سوى أساطير من نسج خيال الممثل العبقري! أما موضوع الألماستين المتماثلتين فهي كذلك خرافة .. لم تكن هنالك سوى الماسة واحدة يا صديقي كانت في الأصل ضمن مقتنيات أسرة "**ياردلي**"، وظلت طوال السنوات الثلاث الأخيرة في حيازة السيد "**رولف**"– ولقد تمكن من سرقتها صباح اليوم ببضع لمسات من المكياج لعينيه! آه.. يجب أن أشاهده في واحدٍ من أفلامه؛ لأنه فنان بحق..

– ولكن لماذا يسرق الماسته؟

– لأسباب عديدةٍ أوّلها أن السيدة "**ياردلي**" بدأت تشاكسه.

وقلت بدهشةٍ:

– السيدة "**ياردلي**"؟

– لعلك تدرك أنها بقيت وحيدة في "**كاليفورنيا**" بينما كان زوجها يستمتع بحياته في مكان آخر، وكان السيد "**رولف**" وسيمًا ولكنه في أعماقه رجل عملي عندما طارح السيدة "**ياردلي**" الغرام، استطاع أن يحتفظ ببضعة خطابات كانت قد أرسلتها له ليهدّدها بها.. لقد ضيقت الخناق على السيدة "**ياردلي**" في الليلة الماضية واعترفت لي بالحقيقة، ولكنها أقسمت لي أنها لم تخن زوجها وإن كانت قد عرضت نفسها لاستغلال "**رولف**" وخوفًا من الطلاق والحرمان من أطفالها استجابت لرغباته، ولما كانت لاتملك مالاً فقد سلمت لـ "**رولف**" الألماسة التي أعطاها إياها بدلاً منها ألماسة مزيفة.. وقد استلفت نظري ظهور.. "**نجمة الغرب**".. المزعومة وسار كل شيء على ما يرام.. وأراد السيد "**ياردلي**" أن يسوي ديونه وخشيت السيدة "**ياردلي**" أن يؤدي عرض الألماسة للبيع إلى اكتشاف الحقيقة، فكتبت لـ "**جريجوري رولف**" الذي كان قد وصل لتوه إلى "**إنجلترا**" ووعدها "**رولف**" بتسوية الموقف وأعد العدة لسرقة مزدوجة وبهذه الطريقة يمكنه تهدئة السيدة التي كان يمكن أن تعترف لزوجها بكل شيء وهذا يتعارض مع مصلحة الرجل الذي يهددها فضلاً عن أن السرقة تتيح له أن يحصل على خمسين ألف جنيه هي قيمة التامين على الألماسة الثمينة بالإضافة إلى أنه سوف يحتفظ بالألماسة نفسها.

عندما وصلت الأمور إلى هذا الحد بدأت أتدخل. أعلنت عن وصول خبير في الألماس.

وكما توقعت دبرت السيدة "**ياردلي**" على الفور فكرة السطو على الألماسة وقد نفذت فكرتها بإحكام! ولكن "**بوارو**" لا يرى سوى الحقائق. ماذ حدث في الواقع؟

تمد السيدة يدها لتطفئ النور وتغلق الباب وتلقي العقد في الممر ثم تطلق صرخةً مدوّية، وكانت قبل ذلك قد نزعت الألماسة المزيفة من مكانها في العقد.

واعترضت على ذلك قائلاً:

– ولكننا شاهدنا العقد ملتفًا حول عنقها.

– أستميحك العذر ياصديقي.. كانت راحة يدها تغطي مكان الألماسة المنزوعة من العقد.. أما قطعة الحرير المنزوعة من ثوب الرجل الصيني والتي وضعت هناك سلفًا فقد كانت لعبة طفل! وبالطبع رتب "**رولف**" الأمور بمجرد أن سمع عن سرقة الألماسة وقدم ملهاته الصغيرة.. ولقد أدى دوره بإتقان.

وسألته بفضول:

– ماذا قلت له لتسترد الألماسة؟

– قلت له إن السيدة "**ياردلي**"اعترفت لزوجها بكل شيء،وإن الزوج قد عهد إليّ باستعادة الألماسة وإذا لم تسلم لي في الحال فعلي أن أبدأ في اتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة. فضلاً عن أنني رويت له بضع أكاذيب أخرى صغيرة خطرت على بالي في التو واللحظة، وأصبح "**رولف**" كقطعةٍ من العجين بين أصابعي!

وأمعنت النظر في الموقف ثم قلت لـ"**بوارو**":

– يبدو أنك بهذا قد تجنيت على "**ماري مارفيل**"، فقد فقدت ألماستها دون خطأ من جانبها.

وأجاب "**بوارو**" بحدّة:

– لا.. لقد حصلت على دعاية ضخمةٍ وهذا كل ما يعني ممثلة سينمائية.. أما السيدة الأخرى فموقفها مختلف تمامًا. إنها أم وسيدة طيبة!

وقلت رغم عدم اقتناعي بوجهة نظر "**بوارو**":

– نعم.. أعتقد أنّ "**رولف**" هو الذي أرسل لها الخطابات.

وقال "**بوارو**" بسرعةٍ:

– كلا.. بالمرّة.. إنّها لم تتسلّم أية خطابات.. لقد جاء إليّ بناء على نصيحةٍ من "ماري كافنديش" لكي أساعدها على الخروج من مأزقها. ولما علمت منك أن "ماري مارفيل" التي تعرف أنها عدوتها قد جاءت أيضًا لزيارتي، عدلت عن فكرتها وتذرعت بالعبارات والتفاصيل التي ذكرتها أنت لها: وقد استطعت بتوجيه بعض الأسئلة أن أعرف أنك أنت الذي أخبرتها بقصة الخطابات ولم تكن هي التي أخبرتك بها. إنها انتهزت الفرصة التي هيأتها أنت لها. وتعلقت بطوق النجاة الذي ألقيت به إليها.

فقلت مدافعًا عن نفسي:

– أنا لاأصدق ذلك.

– بل نعم نعم يا صديقي العزيز.. من المؤسف حقًّا أنك لا تدرس علم النفس، ألم تخبرك أنها مزقت الخطابات؟ هذا ما لا يمكن أن يحدث قطّ؛ لأن المرأة لاتتخلّص من أي خطابٍ حتى ولو كانت الحكمة تقضي بذلك!

وقلت وقد تصاعد غضبي:

– حسن جدًّا.. ولكنك جعلت مني أضحوكة من البداية حتى النهاية! من السهل أن تفسر كل شيء بعد أن يقضى الأمر، ولكنك تجاوزت معي كل حد معقول!

وقال "بوارو" باسمًا:

– ولكنك كنت تستمتع بوقتك يا صديقي ولم يطاوعني قلبي على أن أفسد عليك نظرياتك!

– لقد كنت قاسيًا عليّ أكثر مما ينبغي هذه المرة.

– يا إلهي! ولكن لماذا تثير أعصابك هكذا دون مسوغ يا صديقي؟

– لقد طفح الكيل!

قلت ذلك وأنا أصفق الباب ورائي بعنف، لقد سخر "بوارو" مني طوال الوقت. وكان خليقًا بأن ألقنه درسًا قاسيًا، ولابد من أن أدع فترة طويلة من الوقت تمرّ قبل أن أصفح عنه.

- 3 -

مأساة وثيقة التأمين

كنت قد استدعيت في مهمةٍ تستغرق بضعة أيامٍ خارج المدينة، وعندما عدت وجدت "**بوارو**" يحزم حقيبة صغيرة للسفر، وقال "**بوارو**" :

لقد عدت مبكرًا.. كنت أخشى ألا تعود في الوقت المناسب لتصاحبني.

– هل أنت مكلَّف بقضيةٍ جديدة؟

– نعم.. ولكنني أعترف لك أن هذه القضية ليست مشجّعة.. فقد كلفتني شركة اتحاد الشمال للتأمين بالتحقيق في موت من يدعى السيد "**مالتر أفيرس**" الذي أمّن على حياته لدى الشركة قبل موته ببضعة أسابيع بمبلغ خمسين ألف جنيه.

– وقلت باهتمام : ثم؟

– كان هناك في العقد بالطبع شرط عدم صرف قيمة الوثيقة في حالة الانتحار، وقام طبيب شركة التأمين بالكشف على المؤمّن وعلى الرغم من أنه كان في خريف العمر إلاّ أنّ صحته كانت على ما يرام.. على أية حال..اكتشفت جثة السيد "**مالتر أفيرس**" يوم الأربعاء الماضي– أول أمس– في حديقة منزله في "**أسكس**" بمقاطعة "**ماردسون**"، وجاء في تشخيص الموت أنه حدث نتيجة نزيفٍ داخلي، وذلك في حدّ ذاته لا يستلفت النظر، إلا أن الإشاعات تؤكد أن حالة السيد "**مالتر أفيرس**" المالية في الفترة الأخيرة كانت سيئة للغاية، كما أن شركة اتحاد الشمال للتأمين تؤكد بدورها أن الرجل كان على حافة الإفلاس، وأنه ترك زوجة حسناء في مقتبل العمر، وكان قد جمع قبل وفاته كل ما يمكن جمعه من مال ليدفع مقدم الوثيقة في مقابل التأمين لصالح زوجته بذلك المبلغ الضخم، وترجح الشركة أنه انتحر بعد ذلك، على أية حال فمثل هذه الأمور شائعة. وقد كلفني صديقي "**ألفريد رايت**" المدير بشركة التأمين أن أتولّى التحقيق في وقائع هذه القضية، ولكنني كما أخبرته لست متفائلاً، فإذا كانت السكتة القلبية هي الملجأ

الذي يلجأ إليه الطبيب الشرعي عندما يعجز عن تحديد أسباب الوفاة، فإن الوفاة بنزيفٍ داخلي أمر قاطع لايحتمل التأويل، ومع هذا فلا ضير من أن نقوم ببعض الاستفسارات.. أمامك خمس دقائق لتعدّ حقيبتك يا "**هاستنجز**"، سوف نستقلّ التاكسي إلى شارع "**ليفربول**".

بعد حوالي الساعة كنّا نهبط من القطار في محطة "**ماردسون لي**"، وعرفنا أن مقاطعة "**ماردسون**" تقع على مسافة ميلٍ من المحطة، وقرّر "**بوارو**" أن نقطع المسافة سيرًا على الأقدام، وقلت له:

– ما خطتنا؟

– سوف أقابل الطبيب أولاً، فقد تأكدت أنه لايوجد في "**ماردسون لي**" سوى طبيبٍ واحدٍ هو الدكتور "**رالف برنارد**" وها نحن أمام باب داره. وصلنا في الوقت المحدد لاستشارة الطبيب وكانت العيادة خالية من المرضى؛ وقدم "**بوارو**" نفسه للدكتور "**برنارد**" وهو رجل عجوز طويل، مقوس الظهر قليلاً، بش الوجه، وعندما عرف الطبيب طبيعة المهمة التي جاء "**بوارو**" من أجلها قال:

– أعتقد أنه ما دام السيد "**مالتر أفيرس**" ثريًّا، فلابد أن تكون قيمة التأمين مرتفعة؟

– هل تعتبره رجلاً غنيًّا يا دكتور؟

بدت الدهشة على وجه الطبيب وأجاب بقوله:

– ألم يكن كذلك؟ كانت لديه سيارتان ومزرعته في "**ماردسون**" كبيرة.

وقال "**بوارو**" وهو يحملق إلى وجه الطبيب بإمعان:

– المعلومات التي لدي تفيد أنه خسر مبالغ طائلةً في الفترة الأخيرة.

هزّ الطبيب رأسه في أسى ثم قال:

– هكذا؟ من حسن حظ زوجته إذن أن يكون قد أمّن على حياته.. إنها مخلوقة رائعة جميلة ،ولكن الصدمة هدّت قواها وأثرت على أعصابها. .المسكينة!

لقد حاولت قدر استطاعتي أن أجنبها المزيد من الآلام ولكن وقع الصدمة ولاشك كان شديداً.

– هل كنت تعالج السيد "**مالتر أفيرس**" في الفترة الأخيرة؟

– لم أعالجه قط يا سيدي العزيز.

– ماذا تقول؟

– الذي أعرفه عن السيد "**مالتر أفيرس**" أنه عالم مسيحي أو شيء من هذا القبيل.

– ولكنك فحصت الجثة؟

– بالتأكيد..

– وهل كان سبب الوفاة واضحًا؟

– تمام الوضوح.. كانت على الشفتين بضع قطرات من الدم ولكن الجانب الأكبر من النزيف كان بدون شك داخليًّا.

– هل كان لايزال راقداً في نفس المكان الذي سقط فيه ميتًا؟

– نعم.. ولم يكن أحد قد مس الجثة.. كان يرقد على حافة حوض للنباتات، وكان من الواضح أنه خرج لصيد الطيور، فقد كانت بجواره بندقية صيد صغيرةٍ، ولابد أن النزيف الداخلي حدث بصورةٍ مفاجئةٍ.

– ألم تفكر في أنه قد يكون أصيب بطلق ناري؟

– يا سيدي العزيز!

واسترسل "**بوارو**" قائلاً بتواضع:

– ألتمس منك المعذرة ولكن لو لم تخنّي الذاكرة في جريمة قتل وقعت أخيراً اضطرّ الطبيب إلى تغيير قراره الذي كان يشير إلى أن الوفاة حدثت نتيجة هبوطٍ في القلب وذلك عندما أخطره الكونستابل المحلي بوجود جرحٍ في الرأس ناتج عن طلقٍ ناري!

وأجاب الطبيب بجفاءٍ:

– لن تجد أي جروحٍ في جسم السيد "**مالتر أفيرس**" نتيجة لإطلاق الرصاص، والآن أرجوكم يا سادة إذا لم تكن هناك...

ووقف "**بوارو**" وهو يقول بأدبٍ شديد:

– طاب صباحك ياسيدي.. وشكراً جزيلاً لتكرمك بالإجابة عن أسئلتنا.. بهذه المناسبة ألم تر ثمة مبرراً لتشريح الجثة؟

فردّ بعصبيةٍ:

– بكل تأكيدٍ لا.. كان سبب الوفاة واضحًا.. وفي مهنتي تقضي التقاليد بأن نجنب أقارب الميت في هذه الحالة ما يمكن توفيره من الآلام.

أغلق الباب وراءنا بعنفٍ، وقال لي "**بوارو**" ونحن في الطريق إلى مزرعة "**ماردسون**" :

– ما رأيك يا "**هاستنجز**" في الدكتور "**برنارد**"؟

– يبدو أنه حمار كبير!

– تمامًا يا عزيزي..

حدقت إلى وجه "**بوارو**" برهة في قلق ولكنني لاحظت أنه جاد في حديثه، وقال "**بوارو**" بهدوء:

– يمكن أن يقال مثل هذا الكلام إذا لم تكن في القضية شابة حسناء!

نظرت إليه ببرودٍ، وعند وصولنا إلى بيت المتوفى قابلتنا وصيفة في منتصف العمر،وسلّمها "**بوارو**" بطاقته وخطابًا من شركة التأمين موجهًا للسيدة "**مالتر أفيرس**"، وقادتنا الوصيفة إلى حجرةٍ صغيرةٍ وانسحبت لتبلغ سيدتها، وفتح الباب بعد عشر دقائق ودخلت الحجرة أرملة نحيلة ترتدي ثياب الحداد وقالت في تردّد:

– سيد "**بوارو**"؟

قفز "**بوارو**" من مقعده قائلاً:

– سيدتي! لاأدري كيف أعبر لك عن أسفي لإزعاجك بهذه الطريقة، ولكن

ماذا كنت تفعلين لو أنك في مكاني؟ الأعمال لاتعرف الرحمة! فأشارت إليه الأرملة بأن يتفضل بالجلوس، وكانت عيناها محمرتين من أثر البكاء، ولكن هذا الحزن الطارئ لم يطفئ جمالها الأخاذ، كانت في حوالي السابعة والعشرين وربما الثامنة والعشرين، رقيقة إلى أبعد الحدود، ذات عينين زرقاوين واسعتين وفمٍ جميل، وقالت الأرملة:

- أهو بشأن وثيقة تامين زوجي؟ ولكن هل كان من الضروري أن يتم إزعاجي الآن بهذه السرعة؟

وقال "**بوارو**" بأدب شديدٍ:

- تذرعي بالشجاعة ياسيدتي.. أنت تعلمين أن زوجك الراحل أمن على حياته بمبلغ ضخم، ومن واجب شركة التامين في مثل هذه الحالات أن تطمئن تمام الاطمئنان إلى بعض التفاصيل، وقد كلفتني الشركة بهذه المهمة، وثقي يا سيدتي بأنني سوف أفعل كل ما أستطيع لأهوّن الأمر بالنسبة إليك على الوجه الذي يرضيك.. أرجوك أن تروي باختصارٍ ما حدث يوم الأربعاء الماضي.

قالت السيدة "**مالتر أفيرس**":

- كنت أغير ملابسي استعداداً لتناول الشاي عندما جاءت الخادمة تنبئني بأن أحد عمال الحديقة عثر على.. وخانها صوتها فلم تقو على الاسترسال في الحديث. وضغط "**بوارو**" على يدها بعطف قائلا:

- لقد فهمت.. كفى! هل شاهدت زوجك قبل ذلك في فترة ما بعد الظهيرة؟

- لم أره منذ ساعة الغداء، فقد توجهت إلى القرية لأشتري بعض طوابع البريد، وأعتقد أنه كان يتجول في الحديقة.

- يصطاد الطيور؟

- نعم.. يأخذ معه في العادة بندقيته الصغيرة، وقد سمعت على البعد طلقةً أو طلقتين.

– أين هذه البندقية؟

– في الصالة على ما أعتقد.

صحبتنا الأرملة الشابة إلى الحجرة التي وضعت فيها البندقية وسلمتها لـ "بوارو" الذي فحصها بعنايةٍ وقال:

– أرى أنه أطلقت منها طلقتان.. والآن يا سيدتي إذا سمحت– لم يكمل "بوارو" جملته وهمست الأرملة وهي تنكس رأسها في حزنٍ:

– سوف يصحبك الخادم.

صعد "بوارو" مع الخادم بينما بقيت مع الأرملة الحسناء، ولم أدر ما إذا كان من الأفضل أن أتحدث معها أم ألتزم الصمت، وقلت لها كلمة أو كلمتين على سبيل المجاملة ردّت عليها بشرودٍ، وعاد "بوارو" بعد بضع دقائق ليقول للأرملة:

– أشكرك على كرمك يا سيدتي، ولاأظنّ أننا في حاجةٍ إلى مضايقتك أكثر من ذلك.. بهذه المناسبة هل تعرفين شيئًا عن أحوال زوجك المالية؟

هزت الأرملة رأسها نفيًا وهي تقول:

– لا أعرف أي شيء عن أحواله المالية.. إنني شديدة الغباء في مثل هذه الموضوعات.

– ألا يوجد لديك تعليل إذن للسبب الذي دفعه فجاة للتأمين على حياته؟

لم يسبق له أن فعل ذلك من قبل على ما أعتقد.

– حسن.. لقد تم زواجنا في الواقع منذ ما يزيد قليلاً على العام، أما بالنسبة للسبب في تأمينه على حياته؛ فلأنه كان يعتقد أنه لن يعيش طويلاً، كان واثقًا بأنه سيموت فجاة، وقد حدث أن أصيب بنزيف داخلي وكان يؤكد أن الإصابة التالية ستكون القاضية، وقد حاولت أن أبعد عنه تلك الأفكار القاتمة ولكن يبدو أنه كان محقًّا في مخاوفه.

انهمرت الدموع من عينيها وودّعتنا، وقال لي "بوارو":

– حسن! ليس أمامنا سوى العودة إلى "**لندن**" ياصديقي، يبدو أنه لم يعد ثمة ما يستوجب بقاءنا في هذا المكان ومع هذا.

– ماذا كنت تريد أن تقول؟

– هناك تناقض خفيف.. هذا كل ما في الأمر، ألم تفطن إلى ذلك؟ ومع هذا فالحياة مليئة بالمتناقضات، والأمر الذي لاشك فيه أن الرجل لم يقض على حياته بنفسه ولايوجد أثر سم يملأ الفم بالدم... ولكن من يكون هذا الرجل؟

كان رجل طويل القامة قادمًا في اتجاهنا، وتجاوزنا دون أن يتبادل معنا كلمة أو إشارةً، ويوحي وجهه البرنزي بأنه عاش في المناطق الاستوائية، وسألنا البستاني عمّن يكون هذا الرجل فقال:

– لا أتذكر اسمه ياسيدي رغم أنني سمعته من قبل.. لقد قضى ليلةً هنا منذ أسبوع.. كان ذلك يوم الثلاثاء.

وصاح "**بوارو**" في وجهي:

– أسرع يا صديقي.فلنتبع الرجل.

أسرعنا خلف الرجل دون أن يفطن إلينا وشاهدناه يتجه إلى شرفةٍ جانبيةٍ في بيت المتوفى حيث كانت تقف الأرملة الحسناء، وبدا الارتباك عليها عند رؤيته وامتقع وجهها وقالت له:

– أنت! ظننت أنك في البحر في الطريق إلى "**شرق إفريقيا**"؟

وأجابها الرجل الغريب قائلا:

–تلقيت بعض الأنباء من المحامي دفعتني إلى إرجاء السفر.. لقد مات عمي العجوز فجأة في "**أسكتلندا**" وعلمت أنه ترك لي بعض المال، ورأيت أنه من الأنسب أن ألغي السفر، ثم قرأت الأنباء الأليمة في الصحف وقدمت؛ لأرى ما أستطيع أن أقدمه من عون، فلسوف تحتاجين إلى شخصٍ يقف بجانبك في مثل هذه الظروف.

تنبهت الأرملة والزائر الغريب لوجودنا في تلك اللحظة، وخطا "**بوارو**" إلى الأمام يعرب عن اعتذاره ويبرر عودته بأنه نسي عصاه في الصالة، وقامت الأرملة بواجب التعارف قائلة:

– السيد "**بوارو**".. الكابتن "**بلاك**".

استخلص "**بوارو**" من الحديث القصير الذي دار أن الكابتن ينزل بمشرب "**أنكور**" ولم يتم العثور على العصا الضائعة بالطبع، وعاد "**بوارو**" يعتذر من جديد وهو ينسحب.

عدنا إلى القرية بخطى سريعة، ثم غير "**بوارو**" اتجاهه لنتجه إلى مشرب "**أنكور**" قائلاً:

– سوف نبقى هنا حتى يعود الكابتن.. ولعلك لاحظت أنني ذكرت أثناء الحديث أننا سوف نعود إلى "**لندن**" بأول قطارٍ ومن المحتمل أن تكون صدقت ذلك.

ولكن لا.. ولعلك لاحظت التغير الذي طرأ على وجه الأرملة عندما وقع بصرها على الكابتن "**بلاك**"، من الواضح أنها فوجئت برؤيته، وهو يعتبر نفسه مقرباً للأرملة وكان في بيت "**مالتر أفيرس**"ليلة الثلاثاء– اليوم السابق لوفاة السيد "**مالتر أفيرس**"، ومن ثم فلابد من أن نبحث عن تحركات الكابتن يا "**هاستنجز**".

رأينا الكابتن يعود إلى المشرب بعد حوالي نصف ساعة، واعترض "**بوارو**" طريقه ثم أقنعه بالحضور إلى الغرفة التي حجزناها وقال:

– كنت أحدث صديقي عن المهمة التي كانت السبب في مجيئنا.. تستطيع أن تفهم ياسيدي الكابتن أنني مهتم بمعرفة الحالة العقلية للسيد "**مالتر أفيرس**" قبل وفاته مباشرة، وأنني لا أريد أن أزعج أرملته الشابة بأسئلةٍ قد تثير شجونها،والمعروف أنك كنت هنا قبل الوفاة بقليل وتستطيع أن تقدم المعلومات المطلوبة.

وقال الضابط الشاب:

– أؤكد لك أنني سوف أقدم لك كل ما أستطيع من العون، ولكنني أخشى أن اخبرك أنني لم ألاحظ اي شيءٍ غير عادي، وعلى الرغم من أن السيد "**مالتر أفيرس**" كان صديقًا قديمًا لأسرتي، إلا أنني شخصيًّا لاأعرف عنه الكثير.

– متى وصلت إلى هذا المكان؟

– بعد ظهر الثلاثاء. وعدت إلى القرية في الصباح المبكر ليوم الأربعاء، حيث كان المفروض أن أبحر على ظهر الباخرة "**تيلبوري**" حوالي الثانية عشرة ظهراً، ولكن بعض الأنباء التي تلقيتها دفعتني إلى تغيير خططي وهو ما سمعتني أشرحه للسيدة "**مالتر أفيرس**".

– كنت عائداً إلى شرق "**إفريقيا**" على ما فهمت؟

– نعم.. لقد كنت هناك منذ قامت الحرب.. إنها بلاد عظيمة..

– تمامًا.. هل أستطيع أن أعرف الحديث الذي دار بينكم على العشاء مساء الثلاثاء؟

– أوه لاأدري.. الحديث العادي حول شتى الموضوعات.. سألني "**مالتر أفيرس**" عن أفراد الأسرة ثم ناقشنا موضوع استعدادات "**ألمانيا**" للحرب، ثم سألتني السيدة "**مالتر أفيرس**" بعض الأسئلة عن شرق "**إفريقيا**" ورويت لهما على ما أذكر قصة أو قصتين.

– شكراً لك.

أخلد "**بوارو**" للصمت برهة ثم قال في دعةٍ:

– أريد أن أقوم بتجربة بسيطةٍ إذا لم يكن لديك مانع.. لقد ذكرت لنا ما يعرفه عقلك الواعي، والآن أريد أن أوجّه بعض الأسئلة لعقلك اللاواعي.

فقال "**بلاك**" باضطرابٍ ظاهرٍ:

– ماذا؟ تحليل نفسي؟

– أوه كلا.. سوف يجري الأمر على النحو التالي.. أعطيك كلمة وترد عليها بأخرى وهكذا.. أي كلمة تخطر على بالك.. هل نستطيع أن نبدأ؟

وقال "**بلاك**" في تردد:

– لامانع..

التفت إليّ "**بوارو**" قائلاً:

– دون الكلمات يا "**هاستنجز**" أرجوك..

أخرج "**بوارو**" من جيبه الساعة الميقاتية ووضعها على المنضدة أمامه ثم قال:

– فلنبدأ.. نهار..

سادت فترة قصيرة من الصمت ثم أجاب قائلاً:

– ليل.

وبينما كان "**بوارو**" يمضي في التجربة كانت إجابات "**بلاك**" تجيء بطريقةٍ أسرع، قال "**بوارو**":

– الاسم

– المكان

– "**برنارد**"

– "شو"

–الثلاثاء

– العشاء

– الرحلة

– المركب

– البلد

– "**أوغندة**"

– قصة

– الأسود

– بندقية الصيد

– المزرعة

– طلقة

– الانتحار

– الفيل

– الناب

– النقود

– المحامي

وقال "**بوارو**" في النهاية:

– شكرًا لك يا كابتن "**بلاك**" .. أرجو أن تسمح لي ببضع دقائق أخرى بعد حوالي نصف ساعة.

وقال الضابط الشاب وهو ينظر إلى "**بوارو**" بدهشةٍ:

– بكل تأكيد..

وعندما خرج الكابتن "**بلاك**" قال لي "**بوارو**" باسمًا:

– والآن يا "**هاستنجز**" .. لعل الأمور قد اتضحت لك؟

– لاأدري ما الذي تعنيه؟

– ألا تكشف لك قائمة الكلمات التي قمت بتسجيلها عن شيء.

حككت رأسي مفكرًا دون أن أجيب، ومضى "**بوارو**" في حديثه قائلا:

– سوف أساعدك.. أولاً.. أجاب "**بلاك**" بدون تردد في حدود الوقت العادي ودون توقف، وبهذا نستطيع أن نقول إنه لم يرتكب جرمًا وليس لديه ما يحرص على إخفائه.. إجابته بالنهار عن الليل، وبالمكان عن الاسم ارتباط طبيعي. ثم بدأت عملي بكلمة "**برنارد** " التي قد توحي له بالطبيب المحلي لو أنه تعامل معه

على أي وجه من الوجوه، ومن الواضح أن ذلك لم يحدث.. وبعد حديثنا الأخير أجاب بـ "العشاء" عن "الثلاثاء" ولكن الإجابة عن "الرحلة" و"البلد" بـ "المركب" و"أوغندة" مما يظهر بوضوح أن الرحلة إلى الخارج كانت تعتبر أهم بالنسبة إليه من رحلته إلى الوطن. وكلمة "قصة" أوحت له بـ "الأسود" ولاشك في أنها القصص التي رواها أثناء العشاء.. ثم ذكرت له كلمة "بندقية الصيد" التي أجاب عنها بـ "المزرعة" على خلاف كل ما كنت أتوقعه. وعندما قلت "طلقة" أجاب على الفور بـ "الانتحار" ومن هنا يبدو الارتباط واضحًا، فهو يعرف شخصا انتحر بواسطة بندقية الصيد في مزرعة، وتذكر كذلك أن ذهنه لايزال يفكر في القصص التي رواها أثناء العشاء، وأعتقد أنك سوف توافقني على أنني لاأبعد عن الحقيقة عندما أستدعي الكابتن "**بلاك**" وأطلب منه أن يعيد بصفةٍ خاصة رواية قصة الانتحار التي تحدث عنها على مائدة العشاء مساء الثلاثاء.

أثبت "**بلاك**" استقامته تمامًا عندما استجاب بسهولة وقال:

– نعم.. رويت لهم هذه القصة.. أطلق شاب الرصاص على نفسه من بندقية صيد في مزرعةٍ بعيدةٍ عن هذا المكان.. أطلق الرصاصة على سقف الحلق حيث استقرت في المخ مما حيَّر الأطباء تمامًا.. فلم تظهر على الوجه سوى بضع قطرات من الدم على الشفتين. ولكن ما السبب في..

– تعني ما الارتباط بين هذه القصة وموت السيد "**مالتر أفيرس**"؟ يبدو أنك لاتعلم أنهم عثروا على بندقية صيدٍ صغيرةٍ بجوار الجثة؟

–تقصد أن قصتي أوحت له بالفكرة.. أوه.. ولكن ذلك مريع.

– لا توجّه اللوم إلى نفسك.. فقد كان المفروض أن يتم الموضوع على هذا الوجه أو ذاك.. حسن، سوف أجري اتصالاً تليفونيًا بـ"**لندن**".

استغرق الاتصال التليفوني وقتًا طويلاً عاد "**بوارو**" على إثره شارد اللبّ ثم خرج للنزهة وحده بعد الظهر، وعندما عاد في السابعة مساء. أعلن أنه لايستطيع

أن يصبر أطول من ذلك، وأنه لابد من إخطار الأرملة الشابة بالأنباء الأليمة، وكنت قد بدأت أشعر بالعطف على تلك الأرملة التعسة وأنا أفكر في موقفها عندما تكتشف أن زوجها انتحر، وأنها لن تنال بنسًا واحداً من قيمة وثيقة التأمين، وتمنيت لو أن الضابط الشاب الذي يشعر نحوها بعاطفةٍ قويةٍ استطاع أن يعوضها عما فاتها، ولقد كان لقاؤنا مع الأرملة مؤلمًا، فقد أبت أن تصدق الحقائق التي عرضها "بوارو"، وعندما اقتنعت في النهاية استسلمت لنوبةٍ عاتيةٍ من البكاء، وقد تأكدت شكوك "بوارو" وأصبحت حقيقة مؤكدة بعد إعادة الكشف على الجثة، وأعرب "بوارو" للأرملة عن أسفه الشديد، فهو مكلف بمهمةٍ لصالح شركة التامين ولم يكن في وسعه أن يفعل غير ما فعل، وبينما كان يستعد لمغادرة المكان قال للأرملة:

– سيدتي.. يجب أن تعلمي أنت بصفةٍ خاصةٍ من دون الناس جميعًا أنه لايوجد موتى!

وقالت الأرملة الحسناء باضطرابٍ:

– ما الذي تعنيه؟

– ألم يسبق لك حضور جلسات تحضير الأرواح.. إنك تتمتعين بخاصية الوساطة.

– لقد قيل لي ذلك من قبل، وهل تؤمن حقًّا بالأرواح؟

– سيدتي. .لقد رأيت بنفسي أشياء غريبة، ولعلك تعلمين أنهم يشيعون في القرية أن هذا البيت مسكون.

هزت الأرملة رأسها مؤمنة، وجاءت الخادمة تعلن أن المائدة معدة للعشاء، وقالت الأرملة:

– الا تبقيان قليلاً لتناول الطعام؟

قبلنا الدعوة شاكرين، فقد داخلني شعور بأن بقاءنا بعض الوقت مع الأرملة

يسليها وينسيها أحزانها، ولم نكد نفرغ من تناول الحساء حتى سمعنا صرخة مدوية خارج الباب وآنية فخارية تتحطم ،ودخلت الخادمة في هلع وهي تضع يدها على قلبها قائلة في ارتياع:

– لقد كان رجلاً.. يقف في الممر..

اندفع "**بوارو**" إلى الخارج وعاد مسرعًا ليقول:

– لايوجد أحد..

وقالت الخادمة بنفس اللهجة:

– لايوجد أحد؟ أوه.. لقد أفزعني..

– ولكن لماذا؟

وأجابت الخادمة في همس:

– خيّل إليّ أنه.. أنه السيد.. كان شديد الشبه به..رأيت وجه السيدة "**مالتر أفيرس**" يزداد شحوبًا، وتذكرت الخرافات المتوارثة عن أن الذين ينتحرون لا تهدأ أرواحهم، ولابد أنها فكرت في نفس الشيء ؛لأنها أمسكت بذراع "**بوارو**" بعد لحظة وهي تصرخ قائلة:

– ألم تسمع ذلك الصوت؟ إنها نقراته من النافذة.. كانت تلك طريقته دائمًا عندما يطوف حول المنزل.

وصحت بدوري في قلق:

– إنها النباتات المتسلقة التي تجاور النافذة.

ساد الغرفة جو من الفزع أسكتنا جميعًا، وعندما فرغنا من تناول الطعام ألحت الأرملة على "**بوارو**" حتى لايغادر المكان على التو؛ فقد كان من الواضح أنها تخاف البقاء وحدها، وجلسنا في غرفة المعيشة بينما كانت الرياح تزمجر في الخارج لتضيف المزيد إلى جو الرعب السائد في الداخل، ورأينا الباب يفتح مرتين ببطءٍ من تلقاء نفسه، وفي كل مرة كانت الأرملة تتعلق بذراعي وهي تشهق في

ارتياع، وقال "**بوارو**":

– آه.. ما شأن هذا الباب أهو مسحور؟! سوف أغلقه بنفسي.

وقالت الأرملة في رعب ظاهرٍ:

– لاتفعل ذلك.. ماذا يحدث لو أنه فتح الآن مرة أخرى.

ولقد حدث ما كانت الأرملة تخشاه في نفس اللحظة، فقد انفتح الباب المغلق بالمفتاح، ولم يكن بوسعي أن أرى ما يدور وراء الباب من المكان الذي كنت أجلس فيه، ولكن الأرملة و"**بوارو**" كانا يستطيعان، وصرخت الأرملة بفزعٍ وهي تقول لـ"**بوارو**":

– لاشك في أنك رأيته.. هناك في الممر!

ظل "**بوارو**" يحملق إلى وجه الأرملة بدهشة وهو يهز رأسه نفيًا، وقالت الأرملة:

– لقد رأيته.. زوجي.. لابد أنك رأيته أيضًا!

– سيدتي..لم أر شيئًا.. إنك في حالةٍ غير طبيعية لاشك في أن...

– إنني على ما يرام..! أوه يا إلهي!

وفجأة ودون سابق إنذار، بدأت الأضواء المنبعثة من المصابيح الكهربائية تضطرب ثم ساد الظلام التام، وبدّد الصمت صوت ثلاث طرقات ثم سمعت الأرملة تتأوه وبعدها.. رأيت بعيني رأسي!

كان الرجل الذي شاهدناه في الطابق العلوي ممدداً على السرير واقفًا يرمقنا بنظراتٍ كالأشباح، وعلى فمه كانت بضع قطرات من الدم، بينما راح يرفع يده اليمنى مشيراً بها إلى حلقه، وفجأة انطلق من جسده نور ساطع ثم تجاوز "**بوارو**" ومرّ بجواري ثم سقط على السيدة "**مالتر أفيرس**"، ورأيت وجهها الشاحب من الرعب وشيئًا آخر فصحت باضطرابٍ:

– يا إلهي.. "**بوارو**"! انظر إلى يدها اليمنى.. إنها مصبوغة كلها باللون

الأحمر!

تأملت الأرملة يدها ثم سقطت على الأرض ككتلة من الحجر قائلة:

– دم.. إنه دم.. لقد قتلته.. أنا التي قتلته! كان يعرض عليّ البندقية عندما وضعت يدي على الزناد وأطلقت الرصاصة.. أنقذوني منه.. أنقذوني! لقد عاد..

ضاع صوتها في حشرجة وصاح "**بوارو**" على الفور:

– الأضواء.

أضيئت الأضواء كأنما بفعل ساحرٍ وقال "**بوارو**":

– هذا هو المطلوب.. هل سمعت يا "**هاستنجز**" وأنت يا "**إيفريت**"؟ أوه بهذه المناسبة هذا هو السيد "**إيفريت**" الممثل المسرحي المحترف.. تحدثت معه تليفونيًا بعد ظهر اليوم، أليس المكياج الذي يضعه رائعًا؟ يبدو كالمتوفى تمامًا وفي جيبه المصباح الكشاف والفسفور اللازم لإعطاء التأثير المطلوب.. لو أنني كنت في مكانك يا "**هاستنجز**" لما مسست يدها اليمنى. إن الطلاء الأحمر يلتصق بسرعةٍ.. وعندما انطفأ النور أمسكت بيدها. وها أنت ترى النتيجة .. يجب أن نلحق بالقطار، فالمفتش "**جاب**" واقف وراء النافذة.. الجو سيئ في الخارج ولكنه كان يسلي نفسه بالطرق على النافذة بين الحين والحين.

وبينما كنا نسير مسرعين والرياح تزمجر من حولنا والمطر ينهمر بغزارة، قال "**بوارو**":

– أنت ترى.. كانت هنالك خدعة صغيرة.. فقد كان الطبيب المحلي يعتقد أن المتوفى عالم مسيحي، ومن الذي يستطيع أن يقدم له مثل هذه المعلومات غير السيدة "**مالتر أفيرس**"؟ أما بالنسبة لنا فقد صورته لنا على أنه كان في حالة إدراك تام لسوء حالته الصحية، لماذا صدمت بعودة الكابتن "**بلاك**"؟! وأخيرًا رغم أن التقاليد تقضي بألا تبالغ السيدة في إظهار الحزن على زوجها، فإن السيدة "**مالتر أفيرس**" قد أفرطت في وضع الصبغة الحمراء على جفونها! لعلك لم تفطن إلى ذلك

يا "**هاستنجز**"؟ كلا؟ إنك كعادتك لاترى شيئًا.

سكت "**بوارو**" برهة ثم أردف يقول:

- هكذا كان الأمر.. كنت أمام احتمالين، هل أوحت قصة "**بلاك**" للسيد "**مالتر أفيرس**" بفكرة الانتحار بالبندقية، أم أن المستمع الآخر- زوجته- استوحت منها تلك الجريمة العبقرية؟ وقد رجحت الاحتمال الثاني؛ لأن استخدام "**مالتر أفيرس**"للبندقية في الانتحار كان يتطلب أن يدفع الزناد بقدمه، ولو أنهم عثروا على فردة حذاء واحدة في الجثة لعلمنا بذلك؛ لأن مثل هذه الحالة لاتغيب عن العين والذهن لهذا فقد تمسكت بالاحتمال الثاني، ولكنني لم أكن أملك دليلاً واحداً يثبت صدق نظريتي ومن هنا كانت الكوميديا القصيرة التي شاهدتها الليلة.

وسألت "**بوارو**":

- حتى هذه اللحظة لاتزال بعض التفاصيل مبهمة.

وقال "**بوارو**":

- فلنبدأ منذ البداية الأولى، هذه سيدة ذكية تعرف سوء أحوال زوجها المالية، وقد تزوجت الرجل العجوز من أجل ثروته، وهي تشعر بالملل؛ لأنها تفني زهرة شبابها مع عجوز مفلس فتدفعه إلى التأمين على حياته بمبلغٍ كبير ثم تفكر في وسيلةٍ للتخلص منه، وتخدمها المصادفات بالقصة التي يرويها "**بلاك**"، وبعد ظهر اليوم التالي وبينما هي تعتقد أن الكابتن "**بلاك**" في طريقه إلى شرق "**إفريقيا**"، تصحب زوجها إلى الحديقة وتقول: يا لها من قصة غريبة تلك التي رواها الكابتن "**بلاك**"! كيف يستطيع رجل أن يطلق الرصاص على نفسه من البندقية.. وتعرض على زوجها أن يريها البندقية ويعرض عليها كيف يمكن أن يتم ذلك، ويستجيب لها العجوز المغفل ويضع فوهة الماسورة في حلقه، وتنحني الزوجة الشابة وتضغط على الزناد..

- 4 -

مغامرة المسكن الرخيص

كانت جميع التحقيقات التي تولاها "**بوارو**" وقمت بتسجيلها، سواء أكانت تتعلق بجريمة قتل أم سرقة، تبدأ من حقيقة تتوسط الأحداث، ومن هذه الحقيقة المركزية ينطلق "**بوارو**" إلى الحل النهائي عن طريق عملية الاستدلال المنطقي، أما بالنسبة للقضية التي أتحدث عنها الآن، فقد اختلف الأمر حيث اجتذبت انتباه "**بوارو**" سلسلة من الأحداث التافهة التي استدرجته ليميط اللثام عن قضيةٍ بالغة التعقيد.

كنت أزور صديقًا قديمًا في المساء يدعى "**جيرالد باركر**"، وكان معنا ستة أشخاص آخرين، وتشعب الحديث حتى وجد "**باركر**" نفسه يتحدث عن موضوع أزمة المساكن في "**لندن**" ومشكلة العثور على المسكن المناسب، وكانت هواية "**باركر**" المفضلة هي البحث عن مسكن جديد، فمنذ انتهت الحرب بلغ عدد المساكن التي استأجرها ما لايقل عن ستة، ولم يكن يستقر في مسكنٍ حتى يبحث عن غيره، محققًا في كل مرة بعض الربح البسيط وإن لم يكن الربح هو هدفه الأصلي. واستمعنا بعض الوقت إلى "**باركر**" في مجال خبرته حتى جاءت السيدة "**روبنسون**"، وهي شابة حسناء تزوجت حديثًا وكانت مع زوجها، ولم يسبق لي أن التقيت بالزوجين في زيارتي السابقة لـ "**باركر**" حيث إن "**روبنسون**" كانت من معارفه الجدد، قالت السيدة "**روبنسون**":

– بمناسبة الحديث عن المساكن، هل سمعت عن الحظ الذي صادفنا في العثور على شقةٍ يا سيد "**باركر**".. إنها تقع في عمارة "**مونتاجو**".

وقال "**باركر**":

– حسن.. كنت أقول دائمًا إن العثور على المساكن الغالية ليس مشكلة.

– نعم.. لكن هذه الشقة ليست غالية.. لايزيد إيجارها على ثمانين جنيهًا في

العام!

وقال "**باركر**" :

– ولكن عمارة "**مونتاجو**" تقع في "**نايتسبريدج**" . أليس كذلك؟ عمارة وجيهة ضخمة، أم لعلك تتحدثين عن عمارة أخرى لأحد أقارب "**مونتاجو**" تقع في حي آخر.؟

– كلا . . إنها العمارة التي تقع في "**نايتسبريدج**" وهذا ما يجعل الأمر مدهشًا.

– تلك معجزة بحق . . ولكن لابد أن في الشقة عيبًا . . أو أن مقدم الإيجار ضخم.

– لامقدم على الإطلاق!

وقال "**باركر**" بدهشة:

– لامقدم ! هذا أمر لايكاد يصدق.

وأضافت السيدة "**روبنسون**" :

– كانت المشكلة أن نشتري أثاثًا للمسكن.

وقال "**باركر**"باسمًا:

– آه! كنت واثقًا بأن الإيجار الرخيص يحمل معه مشكلة من أي لون.

– لم ندفع في الأثاث أكثر من خمسين جنيهًا وأصبحت الشقة مجهزة بأثاثٍ جميل!

– إذن فلابد أن يكون السكان السابقون من المجانين!

بدت الحيرة على وجه السيدة "**روبنسون**" وظهرت بعض التجاعيد عندما قطبت ما بين حاجبيها الدقيقين وقالت:

– أمر غريب، أليس كذلك؟ إذن فأنت تعتقد أن الشقة قد تكون مسكونة؟

وقال "**باركر**" بلهجة التأكيد:

– لم أسمع قط عن شقةٍ مسكونةٍ.

وقالت السيدة "**روبنسون**" :

- ولكن الذي حدث بالفعل أن أشياء غريبة استلفتت نظري.. وتدخلت في الحديث قائلاً:

- مثل ماذا على سبيل المثال؟ وقال "**باركر**" ضاحكًا:

- آه.. بدأ خبير الجرائم يهتم بالموضوع.. أريحي نفسك واذكري الوقائع يا سيدة "**روبنسون**" إن "**هاستنجز**" عبقري في حل الألغاز.

ضحكت في شيء من الارتباك وإن كان الإطراء قد أبهجني، وقالت السيدة "**روبنسون**" :

- عندما ذهبنا يا سيد "**هاستنجز**" إلى مكتب السمسارين "**ستوسر**" و"**بول**"- ولم نكن قد تعاملنا معهما من قبل؛ لارتفاع إيجار المساكن التي يعرضانها أو لضخامة المقدم المطلوب، قيل لنا إن إيجار الشقة ثمانون جنيهًا في العام ولكن المرجح أنها غير مناسبة؛ لأنها ظلت مقيدة في سجلاتهما فترة طويلة، وفي كل مرة كانا يرسلان مستأجرًا لمعاينتها كان يذهب ولايعود، ولكننا أبدينا استعدادنا لعل وعسى، وتوجهنا رأسًا إلى العمارة، ولما كانت الشقة رقم 4 تقع في الطابق الثاني فقد وقفنا ننتظر المصعد، وفوجئنا يا كابتن "**هاستنجز**" بـ "**إيلزي فيرجسون**" ، وهي صديقة قديمة تهبط السلم على عجل وكانت تبحث بدورها عن شقة فقالت لي: عودي أدراجك يا عزيزتي فقد استأجر بعضهم المسكن.. وقال "**جون روبنسون**" : إيجار الشقة رخيص ونستطيع أن نعرض مبلغًا أكبر أو نغري صاحب المسكن بمقدمٍ معقولٍ.. سلوك مشين ولاشك ولكن أزمة المساكن تجعل الإنسان يفكر في مصلحته أكثر مما يفكر في آداب السلوك.

وأكدت للسيدة "**روبنسون**" فهمي للموقف، وأردفت الزوجة الحسناء تقول:

- صعدنا إلى الشقة لنكتشف أن أحدًا لم يستأجرها وقابلنا صاحبة المسكن وأبرمنا الاتفاق بعد أن دفعنا خمسين جنيهًا ثمنًا للأثاث ومن المقرر أن ننتقل إلى

الشقة غداً.

وسأل "**باركر**" بفضول:

– وماذا بشأن السيدة "**فيرجسون**"؟ فلنستمع إلى تفسير الكابتن "**هاستنجز**".

فقلت بهدوء:

– الأمر في غاية البساطة.. لقد ذهبت السيدة "**فيرجسون**" إلى شقةٍ أخرى.

وصاحت السيدة "**روبنسون**" بإعجاب:

– أوه.. كم أنت رائع يا كابتن "**هاستنجز**"!

تمنيت في تلك اللحظة لو أن "**بوارو**" كان معي، فقد كنت أشعر في بعض الأحيان انه لايقدر مواهبي حق قدرها.

*****

رويت القصة لـ "**بوارو**" في صباح اليوم التالي على أساس أن الموضوع مثير للسخرية،ولكن "**بوارو**" أبدى اهتمامًا شديداً بالقصة والقى عليّ أسئلة كثيرة عن مدى مستوى إيجار المساكن في أحياء مختلفة.

وقال:

– إنها قصة غريبة.. اسمح لي يا "**هاستنجز**" أن أقوم بنزهةٍ قصيرةٍ.

*****

عندما عاد "**بوارو**" بعد حوالي ساعة كانت عيناه تلمعان ببريقٍ غريب، ووضع عصاه على المائدة ونظف قبعته بعنايةٍ قبل أن يبدأ حديثه قائلاً:

– من حسن الحظ يا صديقي أننا غير مشغولين بشيء في الوقت الحاضر.. سوف نكرس كل وقتنا لهذه القضية وسألته بدهشةٍ:

– عن أية قضية تتحدث؟

– موضوع السكن الجديد الرخيص الذي عثرت عليه السيدة "**روبنسون**".

– "**بوارو**".. هل أنت جاد فيما تقول؟

– كل الجدّ.. تخيل بنفسك يا صديقي.. الإيجار الحقيقي لهذه الشقة لا يقل عن ثلاثمائة وخمسين جنيهًا في الشهر، ولقد تأكدت من ذلك بنفسي عندما قابلت وكلاء المالك، لماذا تؤجر هذه الشقة دون غيرها بثمانين جنيهًا! لماذا؟

– لابد أن فيها بعض العيوب، ربما كانت مسكونة كما تقول السيدة "**روبنسون**".

هز "**بوارو**" رأسه دلالة على عدم الاقتناع ثم قال:

–الشيء الآخر الغريب في الموضوع أن تخبرها صديقتها أن الشقة استؤجرت ثم تجد الأمرعلى العكس تمامًا.

– ولكن من المؤكد أنك تشاركني الرأي في أن هذه السيدة الأخرى ذهبت إلى غير المسكن المقصود.. هذا هو التعليل الوحيد.

– رأيك هذا يحتمل الصواب والخطأ يا "**هاستنجز**"، ولكن بقيت أمامنا حقيقة تستلفت النظر، ذهب كثيرون ليستأجروا الشقة قبل السيدة "**روبنسون**" وعلى الرغم من رخص الإيجار فإن الشقة ظلت خالية حتى وصلت السيدة "**روبنسون**".

– هذا يؤكد أن ثمة عيبًا في الشقة.

– لم تر السيدة "**روبنسون**" شيئًا من ذلك .. أليس الأمر غريبًا؟ هل أنت مقتنع يا "**هاستنجز**" بصدق تلك السيدة؟

– لقد كانت مخلوقة رائعة!

– بالتأكيد! مادامت قد جعلتك غير قادرٍ على الإجابة عن سؤالي.. أرجوك أن تصفها لي.

– حسن.. طويلة رقيقة. شعرها الأصفر الذهبي جميل...

وقاطعني "**بوارو**" قائلاً في همس:

– كنت تميل دائماً إلى الشعر الأحمر يا "**هاستنجز**". ولكن استمر.

– عينان زرقاوان مع تقاطيع جميلة جداً و.. حسن.. هذا هو كل شيء على ما أعتقد.

– وماذا بشأن زوجها؟

– فتى لطيف.. ليس فيه شيء غير عادي.

– أسمر.. أم معتدل اللون؟

– لا أدري.. بين بين.. ووجهه عادي للغاية.

– أوه.. فتى لطيف.. ليس فيه شيء غير عادي.

هز "**بوارو**" رأسه وهو يقول:

– نعم.. يوجد المئات من هؤلاء الرجال العاديين وعلى أية حال.. أنت تبدي اهتماماً وعنايةً أوفر بأوصاف السيدات هل تعرف شيئاً عن هذين الزوجين؟ هل يعرفهما "**باركر**" جيداً؟

– إنهما من المعارف الجدد على ما أعتقد ولكن من المؤكد أنك يا "**بوارو**" لا تظن أن...

رفع يده معترضاً وهو يقول:

– مهلاً يا صديقي! هل أخبرتك أنني أفكر في شيء؟ كل ما أقوله إن القصة غريبة وكل ما فيها غامض فيما عدا اسم السيدة..أليس كذلك يا "**هاستنجز**"؟

وقلت له بجفاء:

– اسمها "**ستيلا**" ولكنني لا أرى في ذلك...

قاطعني "**بوارو**" بضحكة عاليةٍ وهو يقول بمرحٍ:

– "**ستيلا**" معناها نجمة. أليس كذلك؟

– ماذا تعني؟

– والنجوم تبعث الضوء! رفِّه عنك يا "**هاستنجز**" لاتظهر بمظهر الإنسان الذي أهينت كرامته.. هيا بنا فسوف نذهب إلى عمارات "**مونتاجو**" لنقوم ببعض التحريات.

صحبته إلى عمارات "**مونتاجو**" التي بدت لنا في مظهرٍ طيبٍ واستقبلنا بواب يرتدي سترةً رسمية وسأله "**بوارو**" عما إذا كان السيد والسيدة "**روبنسون**" هناك، ودون أن ينظر إلينا بارتيابٍ أو شك قال:

– الشقة رقم 4 الدور الثاني.

– شكرًا لك.. هل تستطيع أن تخبرني منذ متى جاءا إلى المكان؟

– منذ ستة شهور.

وصحت معترضًا:

– مستحيل.. لاشك في أنك مخطئ.

وكرر البواب في ثقة:

– منذ ستة شهور.

– هل أنت متأكد؟ السيدة التي أتحدث عنها طويلة رقيقة ذات شعر أصفر ذهبي.

وقاطعني البواب قائلاً:

– هي بعينها.. وقد جاءت مع زوجها من حي "**ميشاليماس**" منذ ستة شهور.

ويبدو أن البواب لم يكن راغبًا في الحديث فتركنا وتبعت "**بوارو**" إلى الخارج ليقول في لهجةٍ مشوبةٍ بالسخرية:

– حسن يا "**هاستنجز**".. أما زلت متأكدًا من أن النساء الجميلات يذكرن الصدق دائمًا؟

لم أجب بشيء، وعندما رأيت "**بوارو**" متجهًا نحو شارع "**برمبتون**" سألته عن هدفه فقال:

– إلى مكتب هذين السمسارين يا "**هاستنجز**"، فلدي رغبة شديدة في استئجار شقة بعمارات "**مونتاجو**"، وإذا صدق ظني فسوف تقع هنالك أحداث مسلية في المستقبل القريب.

حالفنا التوفيق في المهمة، فقد كانت الشقة رقم 8 خالية، وهي تقع في الدور الرابع وإيجارها عشرة جنيهات في الأسبوع، واستأجرها "**بوارو**" لمدة شهرٍ وردّ على اعتراضي بقوله:

– إنني أكسب مالاً كثيراً في هذه الأيام! لماذا لا أشبع بعض نزواتي! بهذه المناسبة يا "**هاستنجز**" هل معك مسدّس؟

– نعم.. ولكن هل تتوقع...

– أن نحتاج إلى المسدس؟ هذا محتمل، وأرى أن الفكرة تروقك، فانت تميل دائماً إلى الحركة والأحداث الرومانتيكية..

توجهنا في اليوم التالي إلى المسكن المؤقت الجديد وكان أثاث الشقة أنيقًا وتقع فوق شقة السيدة "**روبنسون**" بطابقين، وكان اليوم التالي يوم أحد، وترك "**بوارو**" الباب الخارجي للشقة مواربًا في فترة بعد الظهر ثم ناداني على عجل عندما سمع صوت بابٍ يفتح في الأدوار السفلية وقال:

– انظر من حاجز السلم. هل هؤلاء هم أصدقاؤك؟ لاتدعهم يرونك يا "**هاستنجز**".

وقلت في صوتٍ هامسٍ:

– نعم..

– حسن.. فلننتظر قليلاً..

*****

بعد نصف ساعةٍ غادرت الشقة رقم 4 شابة ترتدي ملابس زاهية الألوان وقال

"بوارو" بارتياحٍ:

– حسن جداً.. خرج السيد والسيدة ثم خرجت الآن الخادمة وأصبحت الشقة خالية.

وسألته في قلق:

– ما الذي سوف نفعله؟

فأسرع "بوارو" على الفور إلى المطبخ وأمسك بحبل رفع صندوق الفحم وقال:

– سوف نهبط بطريقة إنزال صفائح القمامة.. الناس في مساء الأحد يكونون مشغولين بحفلات الموسيقى وتناول اللحوم الباردة في "إنجلترا".. وسوف يكونون مشغولين عما يفعله "هركيول بوارو".. هيا يا صديقي.

خطا "بوارو" إلى الصندوق الخشبي وأنا أتبعه على مضضٍ وسألته بضيق:

– هل سنقتحم الشقة في الطابق الثاني؟

ولم يكن ردّه مطمئنًا عندما أجاب بقوله:

– ليس الأمر كذلك تمامًا اليوم.

جذب "بوارو" الحبل وبدأنا نهبط ببطء حتى وصلنا إلى الطابق الثاني، وتنهد بارتياح وهو يرى باب المطبخ مفتوحًا وقال:

– هل لاحظت؟ إنهم لايقفلون شرفة المطبخ بالنهار، ويستطيع أي إنسان أن يصعد أو يهبط كما فعلنا. وأما في الليل فهم يغلقون الشرفة ومن أجل هذا فسوف نتخذ بعض الاحتياطات.

وأخرج "بوارو"من جيبه وهو يتكلم بعض الآلات وأخذ يعالج القفل بحيث يستطيع أن يفتحه من الخارج بسهولة، ولم تستغرق العملية أكثر من ثلاث دقائق ثم أعاد الآلات إلى جيبه وصعدنا إلى مسكننا.

✽✽✽✽✽

ظل "**بوارو**" خارج المنزل طوال يوم الاثنين،ولكنه عندما عاد في المساء ألقى جسده على المقعد وهو يتنهد بارتياحٍ وقال :

– هل أقصّ عليك قصة قصيرة يا "**هاستنجز**" ؟ إنها قصة تروقك وسوف تذكرك بالأفلام السينمائية المحببة إلى قلبك. وضحكت وأنا أرد عليه قائلاً :

– هات ما لديك.. إنني أعتقد أنها قصة حقيقية وليست من نسج خيالك.

– إنها واقعية تمامًا.. والمفتش "**جاب**" في "**اسكتلنديارد**" يستطيع أن يشهد على صحتها.. استمع جيداً يا "**هاستنجز**".. منذ أكثر قليلاً من ستة شهورٍ اختفت بعض الوثائق البحرية المهمة من إحدى المصالح الحكومية الأمريكية، وكانت هذه الوثائق تبين بعض الاستحكامات الدفاعية المهمة لأحد الموانئ، وهي تساوي الشيء الكثير لو أنها وقعت في يد حكومةٍ أجنبيةٍ مثل "**اليابان**".. حامت الشكوك حول شاب إيطالي المولد يدعى "**لويجي فالدارنو**" كان يشغل وظيفة صغيرة في تلك المصلحة واختفى في نفس الوقت الذي اكتشفت فيه سرقة الوثائق، وسواء أكان "**لويجي فالدارنو**"هو السارق الحقيقي أم لم يكن، فقد عثر عليه بعد يومين مقتولاً بالرصاص في الجانب الشرقي من "**نيويورك**" إلاّ أن الأوراق لم تكن معه.. وقبل تلك الفترة ببعض الوقت كان "**لويجي**" على علاقة بفتاة تدعى "**إيلزا هاردت**"، وهي مغنية ظهرت حديثًا وكانت تعيش مع شقيقها في شقة بـ"**واشنطن**"، ولايعرف أحد شيئًا عن ماضي الفتاة التي اختفت فجأةً في أعقاب مصرع "**فالدارنو**"، وهناك من الأسباب ما يشير إلى أن "**إيلزا**" عضو في منظمةٍ دوليةٍ للتجسّس قامت بعديد من العمليّات، وفي الوقت الذي كانت المخابرات الأمريكية تراقب الفتاة،كانت تضع أعينها كذلك على مجموعةٍ من اليابانيين الذين يقيمون في "**واشنطن**"، وكانت المخابرات على ثقة بأن الفتاة سوف تتصل باليابانيين عندما تتأكد أنها في أمان.

وقد سافر واحد من هؤلاء اليابانيين فجأة إلى "**إنجلترا**" منذ أسبوعين، ومن

المرجح أن "**إيلزا هاردت**" موجودة بدورها في "**إنجلترا**"..

وسكت "**بوارو**" برهة ثم أردف يقول:

- تشير الأوصاف الرسمية لـ "**إيلزا هاردت**" إلى أن طولها مائة وثمانية وستون سنتيمترًا، العينان زرقاوان، الشعر أصفر ذهبي، التقاطيع جميلة، الأنف مستقيم، لاعلامات مميزة.

وقلت بدهشةٍ:

- نفس أوصاف السيدة "**روبنسون**".

- حسن.. هناك احتمال بذلك.. كذلك علمت أن رجلاً أسمر اللون- أجنبي من أي جنسية- كان يسأل عن سكان الشقة رقم 4 هذا الصباح؛ لهذا يا صديقي أخشى أن تحرم من النوم الهادئ الليلة وتنضم إليّ في السهر داخل الشقة رقم 4 وأنت مسلح بمسدسك.. هل هذا مفهوم؟

- متى نبدأ عملنا؟

- أعتقد أن منتصف الليل هو أنسب الأوقات.. فلا ينتظر أن يحدث شيء قبل ذلك الموعد.

تسللنا بحذرٍ في منتصف الليل تمامًا عن طريق مصعد الفحم إلى الشقة رقم 4، وفتح "**بوارو**" شرفة المطبخ حيث جلسنا على مقعدين نترقب وقوع الأحداث، وترك "**بوارو**" الباب مواربًا وقال:

- ليس أمامنا الآن سوى الانتظار.

كنت أخشى أن يغلبني النوم، وفي الوقت الذي خيّل إليّ فيه أنني قضيت ثماني ساعات في ذلك المكان- وقد اكتشفت فيما بعد أن الوقت لم يتجاوز السابعة والثلث- سمعت صوتًا خفيفًا في الخارج، ولمس "**بوارو**" يدي ووقفنا بحذرٍ ثم اتجهنا إلى الصالة حيث سمعنا الصوت، وهمس "**بوارو**" في أذني:

- إنه خارج الباب يعالج القفل، لا تتحرك قبل أن أعطيك الإشارة وعندئذ

تنقض عليه من الخلف وتشل حركته ولاتنس أنه يحمل سكينًا!

ظهرت دائرة من الضوء من خلال الباب سرعان ما انطفأ ثم فتح الباب ببطءٍ والتصقنا أنا و"**بوارو**" بالحائط، وسمعت أنفاس رجل يمرّ أمامي، ثم أضاء الرجل مصباحه الكشاف وهمس "**بوارو**" في أذني: ابدأ الآن.. قفزنا أنا و"**بوارو**" في نفس اللحظة حيث شللت حركة الرجل، بينما ألقى "**بوارو**" على رأسه شملة (كوفية)، وتم الأمر في لحظة ودون أدنى صوتٍ، ولويت ذراع الرجل ليسقط السكين من يده وبينما سحب "**بوارو**" الشملة لتنحسر عن عيني الرجل ليربطها حول فمه بإحكام، أدنيت المسدس ليراه الرجل ويفهم أن أية مقاومةٍ لن تجدي، ووضع "**بوارو**" فمه على أذن الرجل وأخذ يهمس بكلماتٍ سريعة، وهزّ الرجل رأسه بعد برهةٍ موافقًا، وقاد "**بوارو**" الأسير إلى الخارج حيث هبطنا الدرج، وعندما وصلنا إلى الشارع استدار "**بوارو**" ليقول:

– تنتظرنا إحدى سيارات الأجرة عند ركن الشارع. أعطني المسدس فلن نحتاج إليه الآن.

–وإذا حاول الرجل الهرب؟

ابتسم "**بوارو**" وهو يقول:

– لن يهرب.

عدت بالتاكسي بعد دقيقة، وكان "**بوارو**" قد نزع الشملة عن فم الرجل وصحت بدهشة:

– إنه ليس يابانيًّا. وقال "**بوارو**" ساخرًا:

– قوة الملاحظة كانت سمتك المميزة دائمًا يا "**هاستنجز**".. لا شيء يغيب عنك.. هذا الرجل ليس يابانيًّا.. إنه إيطالي!

صعدنا إلى التاكسي وأعطى "**بوارو**" السائق عنوانًا في "**سانت جونز وود**"، كنت في تلك اللحظة على جهلٍ تام بخطة "**بوارو**"، ولم أشأ أن أسأله أمام

الغريب، وتوقفت السيارة أمام بيت صغير يبعد عن الطريق وكاد "**بوارو**" يصطدم بعد نزولنا من السيارة بسكير، وقال له "**بوارو**" كلمة لم أسمعها ثم صعد ثلاثتنا الدرج المؤدي إلى البيت الصغير، وضغط "**بوارو**" زر الجرس ثم عاد يضغط زر الجرس بإصرار، وفتح الباب بحذرٍ لنسمع صوت رجل يقول بغضب:

– ماذا تريد بحق السماء؟

وقال "**بوارو**" : أريد الطبيب.. زوجتي مريضة..

– لايوجد طبيب هنا.

حاول الرجل أن يغلق الباب ولكن "**بوارو**" وضع قدمه في الفتحة وهو يقول:

– ماذا تعني بعدم وجود طبيب هنا؟ سوف ألجأ إلى القانون.. سوف أدق الجرس وأطرق الباب طول الليل. وقال الرجل برجاء:

– ولكن يا سيدي العزيز..

– سوف أدعو الشرطة.

استدار "**بوارو**" ليهبط السلم ولكن الرجل عاد يقول بنفس اللهجة:

– كلا.. لاتفعل ذلك بحق السماء..

خرج الرجل ليمنع "**بوارو**" من تنفيذ تهديده، ودفعه "**بوارو**" دفعة قوية جعلت الرجل يسقط على السلم، وأسرع "**بوارو**" إلى الداخل ونحن نتبعه ثم أغلق الباب وراءه بالرتاج.

ودخلنا أقرب غرفة. وأمر "**بوارو**" الرجل الإيطالي أن يتوارى خلف ستار النافذة فقال الرجل:

– نعم يا سيدي..

اندفعت سيدة إلى الحجرة بعد أن توارى الإيطالي خلف الستارة، وكانت طويلة ذات شعر أحمر وقوام ممشوق، وقالت محتدة:

– أين زوجي؟ من أنتم؟

تقدم "**بوارو**" خطوة إلى الأمام وانحنى بأدب قائلاً:

– أرجو ألا يصاب زوجك بالبرد، فقد لاحظت أنه يرتدي ثيابًا خفيفة.

وصاحت السيدة بعصبية:

– من أنتم؟ ماذا تفعلون في بيتي؟

– صحيح أن أحدنا لم يسبق له شرف معرفتك يا سيدتي.. إلا أن واحداً من بيننا قد جاء خصيصًا من "**نيويورك**" ليقابلك.

وانفرجت الستائر قليلاً وأطل الإيطالي برأسه. وأحسست بالرعب الشديد وأنا أرى الإيطالي يحمل مسدسي في يده، وأدركت أن "**بوارو**" قد نسي المسدس ولاشك في السيارة، وصرخت السيدة وهي تحاول الفرار من الحجرة، ولكن "**بوارو**" كان يسد الباب، فصرخت في وجهه:

– دعني أمر.. سوف يقتلني.

وقال الإيطالي بصوت خشنٍ وهو يهددنا جميعًا بمسدسه:

– من كان ذلك المجرم "**لويجي فالدارنو**"؟

وصحت في وجه "**بوارو**" قائلاً:

– هذا مخيف يا "**بوارو**".. ماذا سنفعل؟

– أرجوك أن تكفّ عن الكلام يا "**هاستنجز**".. أستطيع أن أؤكد أن صديقنا لن يطلق النار حتى آذن له بذلك!

وقال الإيطالي ساخراً:

– هل أنت واثق بذلك؟

أسرعت السيدة نحو "**بوارو**" قائلة:

–ما الذي تريده؟

انحنى "**بوارو**" وهو يقول بهدوء:

– لا أظن أن ذكاء الآنسة "**إيلزا هاردت**" يحتاج إلى أن أخبرها بما أريد..

اختطفت السيدة بحركةٍ سريعةٍ قطة مصنوعة من القطيفة السوداء تستخدم كساترٍ للتليفون قائلة:

- ما تبحث عنه مخبأ في البطانة.

قال "**بوارو**" بإعجاب:

- منتهى الذكاء. ليلة سعيدة يا سيدتي.. سوف أعطل صديقنا القادم من "**نيويورك**" إلى أن تتمكني من الفرار.

وصاح الإيطالي بخشونةٍ:

- يالك من أحمق!

ورفع الإيطالي مسدسه وصوبه إلى المرأة وضغط على الزناد ولكن لم تصدر عنه سوى تكةٍ خفيفةٍ.

فقال "**بوارو**": إنك لاتثق أبداً بصديقك القديم يا "**هاستنجز**".. إني قد أسمح لأصدقائي بأن يحملوا مسدساً محشواً أما غيرهم فلا.

والتفت نحو الإيطالي يقول له:

- وأنت يا صديقي هل رأيت الجميل الذي أسديته لك..لقد أنقذت عنقك من حبل المشنقة، ومع هذا فلا تتصور أن السيدة الجميلة سوف تتمكن من الهرب.. البيت محاصر برجال الشرطة ولا شك في أنها بين أيديهم الآن، ألا يعزيك هذا؟ تستطيع أن تغادر الغرفة الآن ولكن كن على حذر..

آه.. لقد ذهب بالفعل! وأنت يا صديقي "**هاستنجز**" إنني أرى نظرات العتاب في عينيك، ولكن الأمر كان في غاية البساطة، كان واضحاً منذ اللحظة الأولى، أنه من بين مئات المتقدمين لاستئجار الشقة رقم 4 من عمارة "**مونتاجو**"؟قد وقع الاختيار على "**روبنسون**" وزوجته بالذات، لماذا؟ ما الذي كان يميزهم عن الآخرين مظهرهما؟ ربما.،. ولكن مظهرهما لم يكن غير عادي.. إذن.. فهو الاسم!

وصحت في غيظٍ:

- ولكن لا يوجد شيء غير عادي بالنسبة لمن يحملون اسم "**روبنسون**" فهو اسم شائع.

- آه يا إلهي! ولكن هذا صحيح.. تلك كانت المسألة.. جاءت "**إيلزا هاردت**" مع زوجها أو أخيها أو سمّه ما شئت لتقيم في شقة تحت اسم السيد والسيدة "**روبنسون**"..ثم يكتشفان فجأة أن واحدة من تلك العصابات السرية كـ"**المافيا**"أو "**كامورا**"التي كان يتبعها "**لويجي فالدارنو**"بغير شك تبحث عنهما، فماذا يفعلان؟ يتبعان خطة في غاية البساطة، فهما يعرفان أن الذين يطاردونهما لايعرفونهما معرفة شخصية، فيعرضان الشقة التي يستأجرانها بإيجارٍ زهيد للغاية، ومن بين آلاف الأزواج الذين يبحثون عن شقة للإيجار لابد من أن يجيء عشرات ممن يحملون اسم "**روبنسون**"، وتصبح المسألة مجرد انتظار حتى يجيء الزوجان المناسبان، ثم ما الذي يحدث بعد ذلك، يصل المنتقم الذي يعرف الاسم الذي يبحث عنه والعنوان ليضرب ضربته وينتهي كل شيء بعد أن يشبع رغبته في الانتقام.

وتهرب "**إيلزا هاردت**" مرة أخرى، بهذه المناسبة يا "**هاستنجز**" يجب أن تقدمني للسيدة "**روبنسون**" الحقيقية تلك السيدة الجميلة الصادقة!

لاأدري ماذا سوف يكون رأيها عندما تعرف أن غرباء اقتحموا مسكنها أثناء غيابها.. يجب أن نعود بسرعةٍ،ولكن يبدو أن المفتش "**جاب**"ورجاله قد وصلوا.

وسألت "**بوارو**" وأنا أتبعه إلى الصالة:

- كيف اهتديت إلى العنوان؟ أوه.. لقد تعقبت بالطبع السيدة "**روبنسون**"عندما غادرت المسكن الآخر..

- إنك تدرك الحقائق في الوقت المناسب يا "**هاستنجز**".. بدأ مخك يعمل أخيراً.. والآن لنعدّ مفاجأة صغيرة لـ "**جاب**".

وبينما كان المفتش "**جاب**" يفتح الباب، دفع "**بوارو**" برأس القطة وأرسل من

فمه مواء ثاقبًا، فذعر المفتش "**جاب**" .ولكنه لم يلبث أن قال:

– أوه.. إنه ليس سوى صديقنا "**بوارو**" يمزح كعادته.. اسمح لنا بالدخول ياسيدي..

– هل أمسكت بأصدقائنا؟

– نعم.. سقطت كل الطيور ولكننا لم نعثر معها على الأوراق.

– حقًّا.. إذن فقد جئت لتفتش المكان.. حسن.. لقد كنت على وشك أن أغادره مع "**هاستنجز**"، ولكنني أحب أن أعطيك محاضرة صغيرة حول تاريخ وعادات القطة الأليفة..

وقال المفتش "**جاب**" في ضيق:

– يا رب السماوات ! هل فقدت صوابك تمامًا؟ فلم يعبأ "**بوارو**" بتعليق المفتش وتابع حديثه قائلا:

– كان المصريون القدماء يعبدون القط.. ولايزال البعض يتفاءلون عندما يمرون بقط أسود، وقد مرت هذه القطة السوداء بطريقك الليلة يا "**جاب**".. وأنا أعلم أن الحديث عن أحشاء أي إنسان أو حيوان يعتبر من فساد الذوق في "**إنجلترا**"، غير أن أحشاء هذه القطة دقيقة للغاية.

قبض الرجل الذي دخل مع المفتش "**جاب**" على القطة ؛ليفحص مابداخلها، وقال "**جاب**":

– نسيت أن أقوم بواجب التعارف.. السيد "**بوارو**".. هذا هو السيد "**بيرت**" من مخابرات "**الولايات المتحدة**". وعرفت الأصابع المدربة للخبير الأمريكي كيف تصل إلى ما تبحث عنه، ومدّ يده وخانته الكلمات برهة ثم قال:

– أنا سعيد بلقائك يا سيد "**بوارو**".

✽✽✽✽✽

- 5 -

جريمة الكوخ المنعزل

تمتم "**بوارو**" بضعف:

– من المحتمل بعد كل شيء ألا أموت هذه المرة.

نظرت إلى "**بوارو**" باسمًا وأنا أرى منه تلك الروح من التفاؤل، وكنت بدوري قد أصبت بنوبة الإنفلونزا وقاسيت من آلامها الشيء الكثير.. كان"**بوارو**" جالسًا في سريره مغطى بالملاءات ورأسه ملفوف بشال من الصوف، وينظر بابتهاج إلى صفٍّ من علب الأدوية المرصوصة بعناية أمامه، وأردف "**بوارو**" يقول:

– نعم.. نعم.. سوف أعود مرة أخرى "**هركيول بوارو**" العظيم مصدر رعب المجرمين! تخيّل بنفسك يا صديقي العزيز.. لقد خصصت إلي مجلة "**همسات المجتمع**" فقرة خاصة ماذا تقول المجلة.. آه هذه هي الكلمة "صدقوني يا فتيان.. إن "**هركيول بوارو**" لايستطيع أن يحكم قبضته عليكم الآن لأنه هونفسه تحت قبضة المرض!"

ضحكت بمرح ثم قلت له:

– إنك قد أصبحت شخصية عامة ومن حسن الحظ أنه لم تحدث أمور خطيرة خلال فترة مرضك.

– هذا صحيح..لم تكن القضايا القليلة التي رفضتها بالأهمية التي تستحق الندم.

ودخلت صاحبة البيت لتقول:

– يطلب سيد مقابلة السيد "**بوارو**" أو مقابلتك يا كابتن، ولما كنت قد توسمت فيه الانتماء إلى الطبقة العليا فقد سمحت لنفسي أن آتي ببطاقته.

وسلمتني السيدة بطاقة الزيارة وقرأت الاسم بصوتٍ مسموع: "**روجر هافرينج**".

أشار "**بوارو**" برأسه نحو رف الكتب وطلب مني أن أناوله مجلد "كبار الشخصيات" وقلب "**بوارو**" صفحات الكتاب على عجلٍ حتى توقف عند إحدى الصفحات ومضى يقرأ:.. الابن الثاني للبارون "**وندسور الخامس**".. تزوج عام 1913 من الابنة الرابعة لـ "**ويليام كراب**".

وقلت على الفور:

– أعتقد أنها تلك الفتاة التي كانت تمثل بمسرح "**فريفرليتي**" فيما عدا أنها كانت تسمي نفسها "**زو كاريسبروك**"،وأتذكر أنها تزوجت شابًّا من المدينة قبل أن تبدأ الحرب مباشرة.

– هل تستطيع أن تقابله يا "**هاستنجز**" وتقف على مشكلته وتبلغه اعتذاري؟

كان "**روجر هافرينج**" رجلاً في حوالي الأربعين من عمره، قوي البنية حسن المظهر، إلا أن القلق كان يبدو على قسمات وجهه بوضوح وبادرني بقوله:

– كابتن "**هاستنجز**"؟ أنت مساعد السيد "**بوارو**" على ما أعلم.. من المحتم أن يسافر السيد "**بوارو**" معي اليوم إلى "**دربي شاير**".

وأجبته بقولي:

– أخشى أن يكون ذلك مستحيلاً، فالسيد "**بوارو**" ملازم الفراش؛ لإصابته بالإنفلونزا.

– يا إلهي ! هذه ضربة قاسية لي.

– هل المشكلة التي جئت تعرضها عليه خطيرة؟

– يا إلهي ! نعم، لقد لقي خالي وأحسن أصدقائي في العالم مصرعه في الليلة الماضية.

– هنا في "**لندن**"؟

– كلا.. في "**دربي شاير**".. كنت في المدينة عندما تلقيت صباح اليوم برقية من زوجتي، وقررت في الحال أن أضع التحقيق في مقتل خالي بين يدي السيد

"**بوارو**".

وطرأت على خاطري فكرة مفاجئة فقلت له:

– أرجو أن تسمح لي بدقيقة.

اندفعت نحو غرفة "**بوارو**" وفي كلماتٍ قليلةٍ رويت له الموقف ولم يحاول أن يوجّه لي أيّ سؤال وقال:

– حسن.. حسن.. تريد أن تذهب بنفسك أليس كذلك؟ ولم لا؟ أنت قد تعلمت أساليبي وكل ما أطلبه منك أن توافيني بتقريرٍ يومي وتتبع التعليمات التي أبرق لك بها بكل دقة.

ووافقت على ذلك مرحبًا.

❁❁❁❁❁

بعد ساعةٍ كنت أجلس في أحد مقاعد الدرجة الأولى بالقطار في مواجهة السيد "**هافرينج**"، والقطار يبتعد بأقصى سرعته عن "**لندن**"، وقال السيد "**هافرينج**":

– حتى تكون على علم منذ البداية بكل التفاصيل يا كابتن "**هاستنجز**"، أحب أن أعطيك فكرة عن المكان الذي نقصده. كوخ "**هنتر**" الذي وقعت فيه المأساة لايعدو أن يكون بيتًا صغيرًا في قلب غابة "**دربي شاير**"، أما بيتنا الحقيقي فيقع في "**نيوماركيت**"، ونحن في العادة نستأجر شقة في المدينة خلال الموسم، وتشرف على كوخ "**هنتر**" مديرة للبيت قادرة تمامًا على تأدية كل ما نحتاج إليه من الخدمات عندما نذهب إلى ذلك المكان، لتمضية عطلة نهاية الأسبوع، ولكننا نصحب معنا خلال موسم الصيد مجموعة من الخدم الذين يعملون لدينا في "**نيوماركيت**"، وخالي السيد "**هارنجتون بيس**" – ولعلك تعلم أن أمي السيدة "**بيس**" كانت من "**نيويورك**" – وقد جعل خالي إقامته الدائمة معنا خلال السنوات

الثلاث الأخيرة، ولم تكن علاقته مع أبي أو أخي طيبة في أي وقت من الأوقات، وأعتقد أنه على الرغم من النظر إليّ باعتباري الابن المتلاف، فإن ذلك كان يزيد من حب خالي لي بدلاً من أن يضعفه أنا رجل فقير بالطبع، ورغم أنه كان صارمًا في بعض الحالات فإنه كان سهل القياد بصفة عامة، وكنا ثلاثتنا نعيش معًا في انسجام، وأعرب خالي منذ يومين عن ضيقه بحياة المرح والإسراف التي نعيشها في المدينة واقترح علينا أن نذهب إلى "**دربي شاير**"لنقضي يومًا أو يومين، وأرسلت زوجتي برقية للسيدة "**ميلتون**" مديرة البيت ووصلنا بعد ظهر نفس اليوم، واضطررت مساء الأمس إلى العودة إلى المدينة غير أن زوجتي وخالي لم يغادرا البيت، وقد تلقيت صباح اليوم هذه البرقية:

وسلمني السيد "**هافرينج**" البرقية وكان نصها:

.. عد فوراً. قتل خالك الليلة الماضية.. أحضر معك أحسن مخبر تستطيع إحضاره ولكن عد سريعًا.. "**زو**".

وقلت له:

– إذن فأنت لا تعرف حتى اللحظة مزيداً من التفاصيل؟

– كلا.. أعتقد أن صحف المساء سوف تنشر التفاصيل ولا شك في أن رجال الشرطة يتولون الآن التحقيق في القضية. كانت الساعة تقترب من الثالثة عندما وصلنا إلى محطة السكة الحديد الصغيرة في "**إيملز ديل**"، ومن هناك أقلتنا السيارة لمسافة خمسة أميال إلى بيت صغيرٍ في وسط الغابة مبني من الحجارة، وقلت وأنا أرتجف:

– إنه مكان منعزل.

هز "**روجر هافرينج**" رأسه وهو يقول:

– سوف أحاول أن أتخلص منه، فلن أطيق الإقامة فيه بعد ذلك.

عبرنا الباب الحديدي الخارجي وكنا في طريقنا إلى الباب الخشبي للمنزل عندما

فوجئنا بوجهٍ مألوفٍ وقلت بدهشةٍ:

– "**جاب**" !

وأومأ المفتش "**جاب**" برأسه لي باسمًا وهويقول:

– السيد "**هافرينج**" على ما أعتقد؟ لقد كلفوني في "**لندن**" بالتحقيق في هذه القضية وأحب أن أتحدث معك قليلاً لو سمحت يا سيدي.

– وهل زوجتي.....

– لقد قابلت زوجتك الطيبة كما التقيت بمديرة البيت: لن أعطيك أكثر من لحظات، فأنا أريد العودة بأسرع ما يمكن إلى القرية بعد أن عاينت كل شيء هنا.

– إنني لاأعرف حتى هذه اللحظة أي شيء.

وقال المفتش بهدوء:

– تمامًا.. ومع هذا فتوجد نقطة أو نقطتان أحب أن أستوضحك بشأنهما.. الكابتن "**هاستنجز**" وهو يعرفني سيخطر زوجتك بأنك قادم بعد قليل.. بهذه المناسبة يا كابتن "**هاستنجز**"، كيف تخلصت من الرجل الصغير؟

– إنه فريسة الإنفلونزا وطريح الفراش.

– أحقًّا؟ يؤسفني أن أسمع ذلك، هذا يجعل المسألة كالعربة بدون الحصان عندما تأتي وحدك.

استأت لذلك المزاح الذي جاء في غير أوانه وتوجهت إلى البيت دون أن أجيبه بشيء، ضغطت على زرّ الجرس وفتحت لي بعد لحظات سيدة في منتصف العمر ترتدي ثياب الحداد وقلت لها:

– سوف يعود السيد "**هافرينج**" بعد لحظات.. استبقاه المفتش ليستفسر منه عن بعض المعلومات، وقد جئت من "**لندن**" لأتولى التحقيق في القضية، ربما كان باستطاعتك أن تقصي عليّ بإيجاز ما حدث في الليلة الماضية.

– تفضل يا سيدي.

أغلقت الباب بعد دخولنا وكنا واقفين في الصالة المعتمة عندما قالت:

- جاء رجل غريب بعد العشاء في الليلة الماضية يا سيدي وسأل عن السيد "**بيس**"، ولما كان يتحدث بنفس اللهجة التي يتكلم بها السيد فقد اعتقدت أنه صديق أمريكي للسيد "**بيس**"، وصحبته إلى حجرة الأسلحة ثم ذهبت لأخطر السيد "**بيس**"، ولقد رفض السيد أن يصرح باسمه وهو الأمر الذي بدا غريبًا في ذلك الوقت، وعندما أخبرت السيد "**بيس**" بدت عليه الدهشة ولكنه قال لربة البيت: بعد إذنك يا "**زو**".. سوف أرى ماذا يريده الزائر. وذهب السيد إلى حجرة السلاح بينما توجهت إلى المطبخ وبعد قليلٍ سمعت صوتًا مرتفعًا وأدركت أنهما يتشاجران فجئت مسرعة إلى الصالة، وكانت ربة البيت قد جاءت بدورها وفي نفس اللحظة سمعنا طلقة ثم خيم الصمت، وأسرعنا إلى باب حجرة السلاح ورأيناه مغلقًا من الداخل وكان علينا أن ندور حول البيت؛ لنتسلل من النافذة، ورأينا النافذة مفتوحة وكان السيد "**بيس**" راقداً على الأرض يسبح في بركةٍ من الدم.

- وماذا كان من أمر الرجل الغريب؟

- لابد أنه قفز من النافذة قبل وصولنا.

-ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

- أرسلتني السيدة "**هافرينج**" إلى نقطة البوليس التي تقع على مسافة خمسة أميال، وجاء معي "**كونستابل**" بقي طول الليل حتى جاء مفتش البوليس من "**لندن**" في الصباح.

- كيف كان يبدو شكل الزائر المجهول؟

فكرت مديرة البيت قليلاً ثم قالت:

- كانت له لحية سوداء يا سيدي وهو في منتصف العمر يرتدي معطفًا خفيفًا، وفيما عدا أنه كان يتحدّث بلهجةٍ أمريكيةٍ فلم الاحظ شيئًا آخر يستلفت النظر.

– حسن.. هل أستطيع أن أقابل الآن السيدة "**هافرينج**"؟

– إنها في الدور العلوي يا سيدي.. هل أخبرها؟

– إذا سمحت.. قولي لها إن السيد "**هافرينج**" في الخارج مع المفتش "**جاب**"، وإن السيد الذي أتى به من "**لندن**" يريد أن يتحدث معها في أسرع وقت ممكن.

– حسن يا سيدي..

كنت شديد اللهفة لمعرفة كافة الحقائق، فقد سبقني المفتش "**جاب**" بثلاث ساعات، وكانت لهفته لمغادرة المكان سببًا يدفعني إلى أن أكون في أعقابه.. لم تتركني السيدة "**هافرينج**" أنتظر طويلاً، فقد وصلت بعد بضع دقائق وهبطت الدرج، وبدت لي سيدة حسناء في مقتبل العمر، وكانت ترتدي صدارًا أحمر يحدّد ملامح جسدها النحيل، وتضع على رأسها قبعةً صغيرةً من الجلد الأحمر اللامع، ولم تستطع المأساة أن تطفئ حيوية شخصيتها، قدمت لها نفسي وأعربت عن فهمي للموقف فقالت:

– لقد سمعت عنك بالطبع وعن زميلك السيد "**بوارو**".. لقد قمتما معًا ببضعة أعمال رائعة؛ أليس كذلك؟ ولقد كان زوجي ذكيًّا للغاية عندما نجح في إقناعك بالمجيء بهذه السرعة، تستطيع الآن أن توجه أسئلتك؛ لأن هذه أسهل الطرق لمعرفة كل الحقائق المتعلقة بهذه المأساة.

– شكرًا لك يا سيدة "**هافرينج**".. هل تستطيعين أن تحددي الوقت الذي وصل فيه الرجل؟

–لابد أن وصوله كان قبل الساعة التاسعة بقليل، لأننا كنا قد فرغنا على التو من تناول العشاء ونستعد لتناول القهوة والسجائر.

– أكان زوجك قد سافر بالفعل إلى "**لندن**"؟

– نعم.. ركب قطار الساعة السادسة والربع.

– هل ذهب إلى المحطة بالسيارة أم سيرًا على الأقدام؟

– سيارتنا الخاصة ليست هنا.. جاءت سيارة من جراج "**إيلمر ديل**" لتنقله إلى المحطة في الوقت المناسب للحاق بالقطار.

– هل كان السيد "**بيس**" في حالته الطبيعية؟

– بكل تأكيد .. كان طبيعيًا تمامًا..

– هل تستطيعين أن تذكري أوصاف الرجل؟

– لم أره للأسف الشديد.. فقد قادته السيدة "**ميلتون**" إلى حجرة السلاح مباشرة ثم جاءت لتخبر السيد "**بيس**".

– وماذا كان ردّ السيد "**بيس**".

– بدا عليه الضيق ولكنه ذهب لمقابلة الزائر على الفور، ولم تمض خمس دقائق حتى سمعت الأصوات المرتفعة فاندفعت إلى الصالة وكدت أرتطم بالسيدة "**ميلتون**"، ثم سمعنا صوت الرصاصة وكان باب الحجرة مغلقًا من الداخل وعندما ذهبت إلى النافذة واستغرق ذلك بعض الوقت بالطبع كان القاتل قد نجح في الفرار. وكان المسكين – وتهدج صوتها وهي تقول في حزن– مصابًا برصاصة في رأسه.. تأكدت من أول نظرة أنه فارق الحياة، وأرسلت السيدة "**ميلتون**" لتستدعي الشرطة، وكنت حريصة على عدم لمس أي شيء في الغرفة.

هززت رأسي مؤمنًا ثم قلت لها:

– وبالنسبة للسلاح الذي استخدم في ارتكاب الجريمة؟

– أستطيع أن أخمن يا كابتن "**هاستنجز**".. كان على الحائط مسدسان لزوجي ولاحظت اختفاء أحدهما، وقد ذكرت هذه الواقعة لرجال الشرطة فاستولوا على المسدس الآخر وأخذوه معهم، وعندما يستخرجون الرصاصة من الجثة سوف تنكشف لهم الحقيقة.

– هل أستطيع أن أشاهد حجرة الأسلحة؟

– بالتأكيد.. لقد عاينها رجال الشرطة ولكن الجثة نقلت من الغرفة.

صحبتني السيدة "**هافرينج**" إلى مسرح الجريمة، وكان السيد "**هافرينج**" قد دخل إلى الصالة واعتذرت لي ربة البيت وأسرعت نحو زوجها لأقوم وحدي بالمعاينة، ويجب أن أعترف بأن المعاينة لم تفدني شيئًا، فالمعروف في الروايات البوليسية أن الأدلة تتوافر دائمًا بكثرة، إلاَّ أنني في هذه القضية لم أر شيئًا واحداً يستلفت النظر على الرغم من العناية الشديدة التي وفرتها للبحث، فيما عدا أنني شاهدت على السجادة بقعة كبيرة من الدم، والتقطت صورتين للحجرة بالكاميرا التي أحضرتها معي، وأعدت معاينة الغرفة من الخارج لعلي أعثر على آثار شيء ورأيت في النهاية أن بقائي في ذلك المكان لم يعد مجديًا وقررت الذهاب إلي "**إيلمر ديل**"؛لألحق بالمفتش "**جاب**"، واستأذنت من أصحاب البيت وتوجهت إلى المحطة.

صحبني المفتش "**جاب**" لمشاهدة الجثة، وكان "**هارنجتون بيس**"صغير الحجم حليق الذقن ملامحه أمريكية خالصة، وقد أصابته الرصاصة في مؤخر الرأس وأفرغ رجال الشرطة المسدس من الذخيرة وقال "**جاب**" :

– يبدو أنه أدار رأسه فاختطف الرجل الآخر المسدس وأطلقه عليه من الخلف.. كان المسدس الذي سلمته لنا السيدة "**هافرينج**" محشوًا وكل طلقاته سليمه وأعتقد أن المسدس الآخر كان محشوًا بالذخيرة أيضًا.. أليس هؤلاء الناس حمقى عندما يتركون أسلحتهم المعلقة فوق الجدران محشوة بالرصاص؟

وسألته بفضول:

– ما رأيك في القصة؟

– حسن.. إنني أراقب "**هافرينج**"، ففي ماضيه هفوة أو هفوتان. عندما كان طالبًا في "**أكسفورد**" زوَّر توقيع والده على أحد الشيكات وتمت تسوية الموضوع بالطبع.

وهو الآن غارق إلى أذنيه في الديون، ولم يكن يستطيع أن يلجأ إلى خاله بشأن

تلك الديون، ولك أن تتأكد أن وصية خاله لصالحه، لهذا فإنني أراقبه جيداً، وكان هذا هوالسبب الذي جعلني أصمم على مقابلته قبل أن يرى زوجته، لكن أقوالهما كانت متطابقة تمامًا.

وقد تأكدت أنه استقل قطارالسادسة والربع الذي يصل إلى "**لندن**" في العاشرة والنصف، وأنه توجه رأسًا إلى النادي وقد أيده الشهود في ذلك،ولذا لم يكن باستطاعته أن يطلق النار على خاله في الساعة التاسعة وهو متنكر بلحية سوداء مستعارة!

– آه نعم.. لقد كنت على وشك أن أسألك عن قصة اللحية.

فأجاب وهو يغمز بعينه:

– أعتقد أنها نمت بسرعة في خلال المدة التي قطع فيها القاتل مسافة ثمانية كيلو مترات بين المحطة وكوخ "**هنتر**".. الأمريكيون الذين قابلتهم كانوا حليقي الذقن دائمًا، وإذا أردنا أن نبحث عن قاتل السيد "**بيس**" فلابد أن نبحث عنه بين أصدقائه الأمريكيين.. لقد سألت مديرة البيت أولاً، ثم سألت السيدة وكانت الروايتان متطابقتين تمامًا، ولكن الشيء الذي يؤسف له حقًا أن السيدة "**هافرينج**" لم تشاهد الرجل، فهي سيدة ذكية وكان من المحتمل أن تلاحظ ما يساعدنا على الكشف عن شخصية القاتل.

✽✽✽✽✽

جلست أكتب تقريراً مفصلاً لـ"**بوارو**" واستطعت أن أضيف بعض المعلومات الجديدة قبل أن أرسل التقرير بالبريد، فقد ثبت بعد استخراج الرصاصة من الجثة أنها أطلقت من مسدس مشابه لذلك الذي وقع بين يدي الشرطة، فضلاً عن أنه تم التحقق من التحركات التي قام بها السيد "**هافرينج**" في الليلة السابقة واتضح أنها مطابقة لما شرحه لرجال الشرطة بما لايحتمل أدنى شك، فقد ثبت وصوله إلى

"**لندن**" بقطار الحادية عشرة والنصف، فضلاً عن أن رجلاً من المدينة يسكن في "**إيلنج**" عثر بالقرب من محطة السكة الحديد على لفافة بها مسدس، واتضح لرجال الشرطة أنه المسدس المفقود وأن طلقة واحدة أطلقت منه، وذكرت كل ذلك في التقرير، ووصلتني برقية من "**بوارو**" أثناء تناول طعام الإفطار صباح اليوم التالي تقول:

"ليس "**هافرينج**" صاحب اللحية السوداء بالطبع، فتلك إما فكرتك أو فكرة "**جاب**"، أبرق إليّ بأوصاف مديرة البيت وشكل الملابس التي كانت ترتديها هذا الصباح ونفس الشيء بالنسبة للسيدة "**هافرينج**". لاتضيع وقتك في التقاط الصور فهي غير واضحة وأبعد ما تكون عن الفن".

بدا لي أن أسلوب "**بوارو**" ساخر دون مقتضى،ولعله كان يغار مني لوجودي في مسرح الحدث أتولى التحقيق في القضية،كما بدا لي أن طلب وصف الملابس التي ترتديها السيدتان كان سخيفًا،ولكنني كنت مضطراً لإجابته إلى مطلبه، ووصلتني في الحادية عشرة برقية من "**بوارو**" تقول:

"أنصح "**جاب**" باعتقال مديرة البيت قبل فوات الوقت".

ذهبت بالبرقية إلى "**جاب**" الذي قال لي بهدوء: لابد أن لـ"**بوارو**"وجهة نظره، فإذا كان يشير بذلك فلابد أن لديه أسبابًا وجيهة، وأنا لم أعر مديرة البيت في الواقع أدنى اهتمام، ولا أجد من الأسباب ما يدفعني إلى اعتقالها ولكنني سوف أضعها تحت المراقبة،. وسوف نبدأ من الآن حيث نلقي عليها نظرة أخرى.

ولشدّ ما كانت دهشتنا حين فوجئنا باختفاء السيدة "**ميلتون**" وقد تركت حقيبتها ولم يكن بها سوى ملابس عادية، ولم نعثر على أي أثرٍ يكشف عن شخصيتها، وعندما سألنا السيدة "**هافرينج**" قالت:

– استخدمتها منذ ثلاثة أسابيع عندما تركت السيدة "**إيمري**" الخدمة، وقد جاءتني من وكالة السيدة "**سلبورن**" في شارع "**مونت**" – وهي وكالة معروفة

وأحصل على حاجتي من الخدم من تلك الوكالة دائمًا،ولا أعتقد أنه يوجد ثمة ما يمكن مؤاخذتها عليه، فقد كانت سيدة لطيفة للغاية.

بدت المسألة غامضة تمامًا، فعلى الرغم من أنه كان من الواضح أن السيدة لايمكن أن تكون مرتكبة الجريمة حيث إنها كانت وقت إطلاق الرصاصة مع السيدة "**هافرينج**" في الصالة، فإن اختفاءها المفاجئ لابد أن يشير إلى وجود صلة بينها وبين القاتل، أبرقت لـ "**بوارو**" بالتطورات الجديدة واقترحت عليه أن أعود إلى "**لندن**" وأتصل بوكالة "**سلبورن**"، وجاءني ردّه على الفور:

"لاجدوى من الاتصال بالوكالة؛ لأنهم لن يعرفوا الوسيلة التي استخدمتها للوصول إلى كوخ "**هنتر**" ولاساعة وصولها".

وعلى الرغم من عدم ارتياحي فقد أطعت تعليماته، وعندما اتصلت بالجراح المحلي الوحيد علمت أن أحداً لم يستخدم سياراته مما يؤكد أن القاتل جاء بسيارة خاصة، وبالاتصال بوكالة "**سلبورن**" في "**لندن**" اتضح أن اسم السيدة "**ميلتون**" غير مقيد في السجلات، ومع هذا فقد أرسلت السيدة "**هافرينج**" للوكالة الأجر عندما اختارت مديرة البيت، وكان لابد من عودتي إلى "**لندن**"، وعندوصولي كان "**بوارو**" جالسًا أمام المدفأة وحياني بمودة وقال:

– صديقي العزيز "**هاستنجز**"! كم أنا سعيد لرؤيتك.. إني أكن لك مودة عظيمة وأرجو أن تكون قد استمتعت بوقتك. الم يتح لك أن تلتقي بالمفتش "**جاب**" وأن تجري التحقيقات التي تروقك؟

وقلت له في ضيق:

– "**بوارو**".. القضية غامضة تمامًا ويبدو أن أحدًا لن يهتدي إلى الحل.

– صحيح أنه ليس من المحتمل أن نحقق لأنفسنا المجد في هذه القضية.

– هذا صحيح.. إنها كالبندقة الصلبة التي تستعصي على الكسر.

– أوه.. ولكنك تعلم أني ماهر في كسر البندق! أنا سنجاب حقيقي! إنني

لست قلقًا بالنسبة لهذه القضية ؛لأنني أعرف القاتل الحقيقي للسيد "**هارنجتون بيس**".

وقلت بدهشة بالغة:

– أنت تعرف؟ وكيف اكتشفت القاتل؟

– إجاباتك الرائعة على برقياتي زوّدتني بالحقيقة!

هيا بنا يا "**هاستنجز**" نستعرض الحقائق معًا بطريقةٍ منهجيّةٍ بحسب ترتيبها.. يمتلك السيد "**هارنجتون بيس**" ثروة كبيرة سوف تئول بعد موته إلى ابن أخته.. هذه هي النقطة الأولى.. ومن المعروف أن ابن أخته في موقفٍ مالي صعب للغاية وهذه هي النقطة الثانية.. والمعروف عن السيد "**هافرينج**" كذلك أن أخلاقه وسلوكه في الماضي ليسا فوق مستوى الشبهات.. وهذه هي النقطة الثالثة.

وقلت معترضًا:

– ولكن ثبت أن "**روجر هافرينج**" قام برحلته رأسًا إلى "**لندن**".

– تمامًا.. ونظرا لأن السيد "**هافرينج**" غادر "**إيلمر ديل**" بقطار السادسة والربع، ونظرًا لأن السيد "**بيس**" لايمكن أن يكون قد لقي مصرعه قبل سفر "**هافرينج**" وإلا كان الطبيب قد فطن إلى ذلك، نستخلص من ذلك أن السيد "**هافرينج**" لم يطلق الرصاص على خاله، ولكن نجد أمامنا السيدة "**هافرينج**".

– مستحيل! فقد كانت معها مديرة البيت.

– آه.. نعم.. مديرة البيت. ولكنها اختفت.

– سوف يعثرون عليها.

– لا أظن ذلك. فهناك خدعة في قصة مديرة البيت ألا تظن ذلك يا "**هاستنجز**"؟

– لقد أدت دورها على ما أعتقد ثم هربت في الوقت المناسب.

– وماذا كان دورها؟

– أن تسهِّل دخول شريكها صاحب اللحية السوداء.

– أوه... كلا.. لم يكن ذلك دورها! كان دورها هو الذي أشرت إليه يا "**هاستنجز**" منذ قليل، أن تكون شاهداً على وجودها مع السيدة "**هافرينج**" في لحظة ارتكاب الجريمة، ولن يعثر عليها أحد بعد ذلك؛ لأنها لم تكن موجودة أصلاً! هل نسيت أن زوجة "**هافرينج**" كانت ممثلة قبل زواجها، وأنك و"**جاب**" لم تريا مديرة البيت في النور بل قابلتكما في الصالة المعتمة، وبدت لكما سيدة في منتصف العمر ترتدي ثياباً سوداء وصوتها خافت، كما أن أحداً منكم– لاأنت ولا "**جاب**" ولارجال الشرطة– قد التقى بمديرة البيت مجتمعة مع ربة الدار في نفس الوقت.. لقد كانت لعبة أطفال بالنسبة لتلك الممثلة الجريئة، فقد زعمت أنها ذاهبة لتنادي سيدتها، تسرع إلى الطابق الأعلى وتضع صداراً وقبعة، وبلمسات مكياج سريعة تبدو زوجة "**هافرينج**" الشابة الساحرة ذات الصوت الرنان. ولن يفكر أحد في أمر مديرة البيت، ولماذا يفكرون فيها؟ لايوجد أي ارتباط بينها وبين الجريمة، وهي كذلك لديها شاهد على براءتها.. هو سيدتها التي كانت معها لحظة انطلاق الرصاصة.

– ولكن المسدس الذي عثروا عليه في "**إيلنج**".. لا يمكن أن تكون السيدة "**هافرينج**" ألقته هنالك.

– كلا.. كانت تلك مهمة "**روجر هافرينج**"، ولكنها كانت غلطة من جانبهم وضعتني على الطريق الصحيح.. فالرجل الذي يرتكب جريمة بمسدس عثر عليه في مكان ارتكاب الجريمة يتخلّص منه على الفور ولايحمله معه إلى "**لندن**".

كان الدافع واضحاً، أراد مدبرو الجريمة أن يركز رجال الشرطة اهتمامهم على بقعة بعيدة عن "**دربي شاير**"، كانوا يريدون إبعاد الشرطة بأسرع وقت مستطاع عن كوخ "**هنتر**"، ومن الطبيعي ألا يكون المسدس الذي عثروا عليه في "**إيلنج**" هو نفس المسدس الذي أطلق منه الرصاص على السيد "**بيس**"، فقد أفرغ "**روجر**

هافرينج" رصاصة من المسدس وحمله معه إلى "**لندن**"، ثم توجه إلى النادي رأساً ليحصل على شاهد، ثم أسرع إلى "**إيلنج**" ليتخلص من المسدس وهي رحلة لاتستغرق أكثر من عشرين دقيقة. أما تلك المخلوقة الرقيقة زوجته فهي التي تطلق النار بكل هدوء على السيد "**بيس**" بعد العشاء- وأنت تذكر أن الطلقة أصابت رأسه من الخلف- وتلك أيضاً نقطة تستلفت النظر! وتعود الزوجة وتحشو المسدس وتعيده إلى مكانه ثم تبدأ في تمثيل مسرحيتها الصغيرة.

وقلت بدهشةٍ:

- هذا أمر قابل للتصديق! ومع هذا...

- ومع هذا فهو صحيح.. صحيح تماماً يا صديقي العزيز.. أما تقديم الزوجين للمحاكمة فهذا موضوع آخر..

ويجب على المفتش "**جاب**" أن يفعل كل ما يستطيع، وقد كتبت إليه بالفعل، ولكنني أخشى أن أقول يا "**هاستنجز**" إننا مضطرون إلى تركهما للقدر أو لعدالة السماء.

❁❁❁❁❁

قد تحققت نبوءة "**بوارو**"، فعلى الرغم من اقتناع المفتش "**جاب**" بسلامة نظرية "**بوارو**" فإنه لم يستطع اعتقالهما.

ولكن ذلك لم يمنع من أن يلقيا المصير العادل الذي يستحقانه، وعندما قرأت بعد ذلك في الصحف أن السيد "**روجر**" والسيدة "**هافرينج**" كانا بين الركاب الذين لقوا مصرعهم في حادث الطائرة المتجهة إلى "**باريس**" أدركت أن العدل لابد أن يأخذ مجراه دائماً.

❁❁❁❁❁

- 6 -

سرقة سندات بمليون دولار

وضعت الصحيفة الصباحية جانبًا وأنا أقول لـ "**بوارو**" :

– لقد تعددت سرقة السندات في الفترة الأخيرة يا "**بوارو**" .. ما رأيك لو أننا تركنا الكشف عن الجريمة لنرتكبها؟

وقال "**بوارو**" بانفعال:

– ماذا تريد أن تقول؟ أن تحقق الثراء بالطريق السريع؟

– انظر إلى هذه الضربة..مليون دولار من سندات الحرية يرسلها بنك "**لندن**" و"**اسكتلندا** " إلى "**نيويورك**" على ظهر الباخرة "**أوليمبيا**" وتختفي كالدخان في الهواء؟

– لو لم يكن دوار البحر يتعبني لقمت برحلةٍ بحريةٍ طويلةٍ على واحدةٍ من عبّارات المحيطات.

وقلت له بحماس:

– نعم.. بعض تلك البواخر الضخمة تضمّ حمامات للسباحة ومطاعم وملاعب.. إن من الصعب أن يصدق الإنسان أن تتوفّر هذه المتع على سطح البحر.

وقال "**بوارو**" بحزن:

– أما أنا فأعرف عندما أكون في البحر، بَيْد أنني لاأستمتع بتلك المتع التي تتحدث عنها، ولكن تخيّل الشخصيّات التي تسافر بالبحر، فعلى ظهر هذه البواخر يلتقي الإنسان بالصفوة من العظماء في عالم الجريمة!

ضحكت وأنا أقول له:

– إذن فقد كنت تتمنى أن تقوم برحلةٍ بحرية لتلتقي وجهًا لوجه باللص الذي سرق سندات الحرية؟

وفي هذه اللحظة دخلت صاحبة البيت لتعلن عن قدوم شابة تطلب مقابلة

"**بوارو**" ،وكانت بطاقتها تحمل اسم الآنسة "**إيمي فاركوهار**" ، وبعد أن انحنى "**بوارو**" تحت المائدة ليلتقط قطعة فتات الخبز سقطت على الأرض، طلب من صاحبة البيت أن تدخل الزائرة، وبعد لحظة كانت تدخل الحجرة واحدة من أجمل من رأيت من النساء، تبلغ من العمر نحو خمسة وعشرين عامًا ذات عينين عسليتين واسعتين وقوام بديع وترتدي ملابس فاخرة، وقال لها "**بوارو**" :

– تفضلي بالجلوس – يا آنسة– هذا صديقي الكابتن "**هاستنجز**" الذي يعاونني في حل المشاكل الصغيرة.

وقالت الآنسة "**فاركوهار**" وهي تنحني لي قبل الجلوس:

– أخشى أن تكون المشكلة التي آتيك بها اليوم يا سيد "**بوارو**" جسيمة.. أعتقد أنك قرأت الصحف.. إنني أقصد حادث سرقة سندات الحرية على ظهر الباخرة "**أوليمبيا**" .

ولابد أن تكون أمارات الدهشة قد ظهرت على وجه "**بوارو**" ؛ لأنها قالت بسرعة:

– لعلك تتساءل عما يهمني من تلك المشكلة الخطيرة التي يواجهها بنك "**لندن**" ، و"**اسكتلندا**" ؟ وأحب أن أقول لك إنها من ناحية لاتهمني إطلاقًا، ومن الناحية الأخرى تهمني جدًّا؛ لأنني مخطوبة للسيد "**فيليب ريدجواي**" .

– آه.. ومن يكون السيد "**فيليب ريدجواي**" ؟

– الشخص الذي كانت السندات تحت رعايته عندما سرقت..

وبالطبع لم يوجه إليه حتى الآن أي لوم؛ لأن الخطأ لم يكن خطأه بأي حال، ولكنه مهموم إلى أبعد الحدود، ويتهمه عمه بأنه قد يكون تحدث بإهمال عن وجود السندات معه وسوف يكون لهذا الحادث تأثيره السيئ على مستقبله.

– ومن العم؟

– السيد "**فافاسور**" المدير المساعد لبنك "**لندن**" و"**اسكتلندا**" .

– ما رأيك يا آنسة "**فاركوهار**" في أن تروي لنا القصة بالتفصيل؟

– حسن جداً.. أراد البنك أن يمدّ نشاطه إلى "**أمريكا**"، ومن ثم قرر أن يرسل إلى "**الولايات المتحدة**" سندات بمليون دولار، واختارالسيد "**فافاسور**" ابن أخيه الذي يشغل وظيفة في البنك تجعله أهلاً للثقة، فضلاً عن أنه عمل في البنك سنوات طويلة مما يجعله على دراية بكل أعمال البنك،وأبحرت الباخرة "**أوليمبيا**" من ميناء "**ليفربول**" في الثالث والعشرين، وكانت السندات قد سلمت لـ "**فيليب**" في صبيحة ذلك اليوم بمعرفة السيد "**فافاسور**" والسيد "**شو**"، المديرين المشاركين للبنك، وتم إحصاء السندات ووضعت في لفافة ثم ختمت بحضور "**فيليب**" الذي وضعها في الحال في حقيبته.

– أهي حقيبة ذات قفل عادي؟

– كلا.. فقد أصرّ السيد "**شو**" على أن يجهز الحقيبة بقفل خاص من طراز "**هوبس**"، ووضع "**فيليب**" اللفافة التي تضمّ السندات في قاع الحقيبة، ووقعت السرقة قبل ساعات قليلة من وصول السفينة إلى "**نيويورك**"، وأجري تفتيش دقيق للسفينة دون جدوى وبدا الأمر كما لو أن السندات تبخرت في الهواء.

وقال "**بوارو**":

– ولكنها لم تختف تماماً بدليل أنها طرحت للبيع في لوطات صغيرة خلال نصف ساعة من رسو السفينة على الشاطئ.. سوف تكون الخطوة التالية أن أقابل السيد "**ريدجواي**".

وقالت الفتاة:

– كنت على وشك أن أقترح عليك أن تتناول الغداء معي في مطعم "**شيشايرشيز**" لأن "**فيليب**" سوف يكون هناك، من المفروض أن نلتقي هناك ولكنه لايعلم حتى هذه اللحظة أنني أطلب مشورتكما في المشكلة نيابة عنه.

وافقنا على الاقتراح بترحيب وركبنا سيارة أجرة إلى المطعم، وكان السيد

"**فيليب ريدجواي**" قد سبقنا إلى هناك، وفوجئ بوصول خطيبته في صحبة رجلين غريبين، وكان "**فيليب**" فتى جذابًا طويل القامة، وكان شعر سالفتيه رماديا على الرغم من أنه لم يتجاوز الثلاثين بكثير واتجهت الآنسة "**فاركوهار**" نحو خطيبها ووضعت يدها فوق ذراعه قائلة:

– أرجو أن تعفو عني يا "**فيليب**" إذا كنت قد تصرفت دون مشورتك.. دعني أقدم لك السيد "**هركيول بوارو**" المخبر الكبير الذي سمعت عنه ولاشك، وصديقه الكابتن "**هاستنجز**".

بدت الدهشة على "**ريدجواي**" الذي قال وهو يصافح "**بوارو**":

– بالطبع لقد سمعت عنك الشيء الكثير يا سيد "**بوارو**".. لكنني لم أفكر قطّ في أن "**إيمي**" ستلجأ إليك بشأن مشكلتي.

وقالت الآنسة "**فاركوهار**":

– كنت أخشى ألا توافق على الفكرة يا "**فيليب**".

وقال "**فيليب**" باسمًا:

– لهذا رأيت أن تكوني في جانب الأمان.. أرجو أن يتمكن السيد "**بوارو**" من حل هذا اللغز المحير، لأنني أعترف بأنني أكاد أجن لما حدث.

كان وجهه مشبعًا بالقلق بالفعل ويعكس آثار الضغط العصبي الذي يعاني منه، وقال "**بوارو**":

– حسن.. فلنتناول طعام الغداء ونتحدث خلال الطعام عن المشكلة.. أريد أن أسمع القصة من السيد "**ريدجواي**" نفسه.

وبعد أن تحدثنا عن جودة الطعام راح "**فيليب ريدجواي**" يروي الظروف التي انتهت باختفاء السندات، وجاءت قصته متفقة في كل التفاصيل مع ما روته الآنسة "**فاركوهار**"، وعندما انتهى من قصته سأله "**بوارو**":

– ما الذي جعلك تجزم بأن السندات قد سرقت يا سيد "**ريدجواي**"؟

ضحك الشاب بمرارة ثم قال:

- لقد صدمتني الحقيقة في وجهي يا سيد "بوارو" وما كان باستطاعتي أن أتغافل عنها.. فقد كانت الحقيبة مفتوحة عندما دخلت كبينتي والأشياء التي بداخلها كانت مبعثرة بينما آثار محاولة فتح القفل ظاهرة.

- ولكني فهمت أن الحقيبة فتحت بواسطة مفتاح.

- هذا صحيح.. حاول اللصوص كسر القفل ولم تنجح المحاولة، ولابد أنهم فتحوها آخر الأمر بوسيلة أو بأخرى.

وقال "بوارو" وفي عينيه بريق الاهتمام:

- هذا أمر غريب.. بالغ الغرابة! يضيعون وقتًا طويلاً جدًا في محاولة كسر القفل ثم يكتشفون أن المفتاح كان معهم منذ البداية.. والمعروف أن مفاتيح "هوبس" فريدة في نوعها؛ حيث لايصنع من كل مفتاح سوى نسخة وحيدة.

- وهذا هو السبب الذي من أجله لم يكن باستطاعتهم الحصول على المفتاح.. والمفتاح الذي كان معي لم يكن يفارقني في الليل أو النهار.

- هل أنت متأكد من ذلك؟

- أستطيع أن أقسم على ذلك، فضلاً عن أنهم لو كانوا يملكون المفتاح أو نسخة منه لما أضاعوا الوقت في محاولة كسر قفل من الواضح أنه غير قابل للكسر.

- آه! وهذا هو السؤال الذي يجب أن نوجهه لأنفسنا! وأستطيع أن أتنبأ بأن الحل- إذا اهتدينا إليه- سوف يدور حول هذه الحقيقة الغريبة.. أرجو ألا يزعجك أن أوجه إليك سؤالاً آخر أو سؤالين.. هل أنت واثق تمامًا بأنك لم تترك الحقيبة مفتوحة؟

حملق الشاب إلى وجه "بوارو" بدهشة دون أن يجيب، وقال "بوارو" بهدوء:

- ولكن مثل هذه الأشياء تحدث.. حسن جدًا.. سرقت السندات من الحقيبة، ولكن ما الذي فعله اللص بالسندات؟ كيف استطاع النزول إلى الشاطئ والسندات

معه؟

وصاح الشاب بانفعال:

– هذه هي المشكلة! كيف؟ لقد أحيط رجال الجمارك علمًا بالسرقة ولم يتركوا راكبًا واحدًا دون أن يفتشوه بدقة أثناء نزوله إلى الشاطئ.

– والسندات على ما أعتقد كانت تؤلّف لفافة ضخمة؟

– بكل تأكيد، ولم يكن من السهل إخفاؤها في الباخرة، ومع هذا فنحن نعلم أنها لم تترك في الباخرة؛لأنها طرحت للبيع خلال نصف ساعة من وصول الباخرة،أي منذ وقت طويل قبل أن أتمكن من إرسال البرقية وأتلقى الرد بأرقام السندات وأكثر من هذا صرح أحد السماسرة أنه تلقى بعض السندات قبل أن تصل الباخرة إلى الميناء،وليس من المعقول بالطبع أن ترسل السندات باللاسلكي.

– ليس باللاسلكي طبعًا، ولكن هل اقتربت مقطورة من الباخرة؟

– لم أر سوى المقطورات الرسمية وكان ذلك بعد الإنذار بالحادث، وقد كنت أراقب الموقف بنفسي لعل السندات. تهرب بتلك الطريقة.. يا إلهي! إن هذا الحادث يدفعني للجنون يا سيد "**بوارو**".. لقد بدأ الناس يقولون إنني سرقت السندات بنفسي.

وسأل "**بوارو**" برقة:

– ولكنهم فتشوك كما فتشوا الآخرين. أليس كذلك؟

– نعم. وقال "**بوارو**" وهو يبتسم ابتسامةً غامضةً:

– يبدو أنك لم تفهم ما أعنيه.. سوف أبدأ الآن بعض التحريات في البنك.

أخرج "**ريدجواي**" بطاقةً من جيبه وكتب عليها بضع كلماتٍ قائلاً:

– قدم هذه البطاقة وسوف يقابلك عمي على الفور.

شكره "**بوارو**" واعتذر للآنسة "**فاركوهار**" ثم انسحبنا لنذهب رأسًا إلى المكتب الرئيسي لبنك "**لندن**"و"**اسكتلندا**"، وبمجرد تقديم بطاقة "**ريدجواي**"

سمح لنا باجتياز القاعات الفسيحة المزدحمة بالحواجز والمكاتب وغرف الصيارفة، ثم وصلنا في النهاية إلى غرفةٍ صغيرةٍ تضم مكتب مديري البنك، وكان الأسى يبدو واضحاً على وجهي السيدين العجوزين اللذين أمضيا زهرة العمر في خدمة البنك، وكانت للسيد "**فافاسور**" لحية قصيرة بيضاء، بينما كان السيد "**شو**" حليق الذقن، وقال السيد "**فافاسور**":

– أعلم أنك مخبر خاص تقوم بالعمل لحسابك تماماً.. لقد وضعنا الأمر بالطبع بين يدي رجال "**اسكتلنديارد**"، ويحقق في هذه القضية المفتش "**ماك نيل**" وهو ضابط قدير على ما أعتقد.

وقال "**بوارو**" بأدب شديدٍ:

– إنني واثق بذلك.. وأرجو أن تسمح لي بالنيابة عن ابن أخيك أن أوجه بضعة أسئلة بشأن ذلك القفل. من الذي طلب من "**هوبس**" صنعه؟

وقال السيد "**شو**".

– أنا الذي أمرت بذلك شخصيًّا؛ لأنني لم أكن أستطيع أن أطمئن إلى قيام واحد من الكتبة بهذا العمل، وفيما يتعلّق بالمفاتيح، فقد سلمت واحداً للسيد "**ريدجواي**" والمفتاحان الآخران في عهدتي وعهدة زميلي.

– ألم يقترب من تلك المفاتيح أحد من كتبة البنك؟

نظر السيد "**شو**" إلى زميله مستفسراً، وقال السيد "**فافاسور**":

– أعتقد أنني أقول الحق عندما أقرر أن المفتاحين ظلاًّ في الخزانة منذ يوم 23 عندما أودعناهما بأنفسنا.. ولسوء الحظ أصيب زميلي بالمرض منذ أسبوعين.. في الواقع فوجئ بالمرض في نفس اليوم الذي سافر فيه "**فيليب**"، ولم يشف من مرضه ولم يعد إلا اليوم.

وقال السيد "**شو**" بأسف:

– ليست النزلة الشعبية بالأمر الهين لمن هو في مثل سني.. ولكنني أخشى أن

أقول إن السيد "**فافاسور**" قد تحمل العمل الشاق وحده أثناء مرضي، بالإضافة إلى الهموم الجديدة التي أضيفت بحادث السرقة.

وجه "**بوارو**" بضعة أسئلة أخرى، واتضح لي أنه يحاول قدر الاستطاعة التثبت من صحة المعلومات التي حصل عليها بمقارنة كلام العم وابن أخيه، وكانت إجابات السيد "**فافاسور**" مختصرة ومحكمة، وقال الرجل إن ابن أخيه شخص موثوق به؛ وأنه ليس غارقًا في الدين ولا يواجه أية متاعب مالية، وقد سبق أن عهد إليه بمأموريات مماثلة في الماضي، وانحنى لنا الرجل العجوز بأدبٍ مودعًا.

وعندما خرجنا إلى الشارع قال "**بوارو**":

– لقد أصبت بخيبة أملٍ.

– هل كنت تتوقع الحصول على المزيد من الحقائق؟ لقد كانا عجوزين ثقيلين!

– ليست غلطتهما هي التي خيبت آمالي يا صديقي! فلم أتوقع كما في الروايات البوليسية أن أقابل رجلاً ماليًّا يبدو حاد الذكاء وفي عينيه نظرات الصقر المتحفز.

– كلا.. إن الذي يشعرني بخيبة الأمل أن القضية سهلة إلى أبعد حد!

–سهلة؟

– نعم.. ألا ترى أن طفلاً يستطيع أن يهتدي إلى السرّ بسهولة؟

– تريد أن تقول إنك تعرف من الذي سرق السندات؟

– نعم.

وقلت في اضطراب:

– ولكن .. يجب أن .. لماذا..

– لاتسبب لنفسك الحيرة يا "**هاستنجز**".. لن نفعل شيئًا في الوقت الحاضر.

– ولكن لماذا؟ ماذا تنتظر؟

– الباخرة القادمة من "**نيويورك**" يوم الثلاثاء المقبل.

– ولكن إذا كنت تعرف من الذي سرق السندات فلماذا تنتظر وتتيح الفرصة للسارق كي يهرب؟

– يهرب إلى جزيرة في بحر الجنوب لاتلتزم بتسليم المجرمين الفارين؟ كلا ياصديقي.. سوف يجد الحياة بلا طعمٍ هنالك! أما سبب انتظاري يا صاحبي.. حسن.. بالنسبة لعبقرية "**هركيول بوارو**" تبدوالقضية بالغة السهولة والوضوح، أما انتظاري فلمصلحة الآخرين الذين لم يمنحهم الله هذه الموهبة– المفتش "**ماك نيل**" على سبيل المثال، وفترة الانتظار تسمح بالقيام ببعض التحريات التي توضح بعض الأمور.. يجب أن يضع الإنسان في تقديره أولئك الذين لم يوهبوا مثل عبقريته!

وقلت بغيظٍ:

– يا إلهي!!.. هل تعرف يا "**بوارو**" أنني على استعداد لأن أدفع مبلغًا كبيرًا لأراك تفشل ولو مرة واحدة وتبدو كالحمار الأبله..

إنك تثق بمقدرتك إلى درجة الغرور.

– لاتستسلم للغضب يا "**هاستنجز**"..إنني في الحقيقة أرى مشاعرك نحوي في بعض الأحيان تصل إلى حدّ الكراهية! إنني أدفع ثمن عبقريتي للأسف الشديد!

ضرب الرجل الصغير صدره وهو يقول تلك الكلمات بحيث بدا لي مظهره مضحكًا للغاية فلم أستطع أن أكتم الضحك..

ركبنا يوم الثلاثاء القطار إلى ميناء "**ليفربول**"– ورفض "**بوارو**" بعناد أن يخبرني بشكوكه أو نظرياته التي تحقق منها– واكتفى بالتعبير عن دهشته لأنني أنا أيضًا لاأستطيع أن أرقى إلى مستوى الموقف، ولما كنت قد كرهت الجدل معه فقد أخفيت مشاعري وتظاهرت بعدم الاكتراث.

بمجرد وصولنا إلى الرصيف الذي ينتظر أن ترسو عليه الباخرة أصبح "**بوارو**"

يقظًا، وكانت خطته تقضي بأن نقابل أربعة من الخدم الذين يعملون على السفينة،وأن نبحث عن صديق لـ"**بوارو**" سافر إلى "**نيويورك**" في الثالث والعشرين من الشهر.

– سيد عجوز يضع نظارات على عينيه، وهو مقعد تمامًا وقلّما يتحرك من كبينته.

كان الوصف ينطبق على رجلٍ يدعى السيد "**فنتور**"، وكان الرجل يشغل الكبينة رقم س 24، وهي الكبينة المجاورة لتلك التي كان يحتلها السيد "**فيليب ريدجواي**" ورغم أنني لم أستطع أن أعرف الكيفية التي استنتج بها "**بوارو**" وجود شخصية السيد "**فنتور**"، فإن هذا الاكتشاف زاد فضولي وقلت لأحد خدم السفينة:

– قل لي هل كان هذا السيد أول من غادر السفينة عند وصولها إلى "**نيويورك**"؟

هز الخادم رأسه نفيًا وقال:

– كلا يا سيدي.. لقد كان في الواقع آخر من غادر السفينة من الركاب.

غمرني شعور باليأس، ورأيت "**بوارو**" يقطب جبينه وهو ينظر إليّ. وشكرنا الخادم ثم انصرفنا، وقلت له:

– حسن جدًا.. ولكن هذه الإجابة الأخيرة لابد أن تكون قد قلبت نظريتك رأسًا على عقب؟

وقال "**بوارو**" ساخرًا:

– أنت كعادتك لاتلاحظ شيئًا يا "**هاستنجز**"، هذه الإجابة الأخيرة على العكس عززت وجهة نظري تمامًا.

ضممت يدي في يأس وأنا أقول:

– إني أعترف بالعجز.

*****

عندما ركبنا القطار المسرع إلى "**لندن**"، كان "**بوارو**" مشغولاً بكتابة خطاب لمدة بضع دقائق، ثم وضع الخطاب في ظرف وأغلقه بعناية وهو يقول:

– هذا للمفتش الطيب "**ماك نيل**".. سوف نتركه له في مكتبه بـ "**اسكتلنديارد**" أثناء مرورنا بالمكتب، ثم نتوجه إلى المطعم الذي حددته للآنسة "**إيمي فاركوهار**" لتتناول معنا طعام العشاء.

– وماذا بشأن "**ريدجواي**"؟.

وقال "**بوارو**" وهو يغمز بعينه:

– ماذا بشأنه؟

وأجبته في اضطراب:

– ماذا..؟ من المؤكد أنك لا تفكر في... إنك لاتستطيع أن...

وقال "**بوارو**" باسماً:

– لقد بدأت عادة عدم انتظام التفكير تتضخم لديك يا "**هاستنجز**".. في الواقع لقد فكرت في الأمر، لو أن "**ريدجواي**" هو اللص– وهذا مستحيل تماماً– لكانت القضية مشوقة للغاية ولاتحتاج إلى أكثر من بعض التفكير المنطقي لحل اللغز.

– ولكنها لاتكون مشوقة بالنسبة إلى الآنسة "**فاركوهار**".

– من المحتمل أن تكون على حق.. والآن دعنا نستعرض القضية معاً يا "**هاستنجز**"، إنني أراك في أشد اللهفة إلى معرفة الحل.. لقد اختفت اللفافة المختومة من الحقيبة وتبخرت كما تقول الآنسة "**فاركوهار**" في الهواء.. وسوف نستبعد نظرية التبخر في الهواء؛ لأنها غير عملية في عصر العلم الذي نعيشه اليوم، ولنفكر فيما هو محتمل أن يحدث للفافة السندات.. يؤكد الجميع استحالة تهريب سندات إلى الشاطئ..

– نعم ولكننا نعلم...

وقاطعني "**بوارو**" قائلاً:

– ربما كنت تعلم يا "**هاستنجز**" ولكنني لا أعلم، ومن رأيي أنه ما دامت تلك الفكرة غير معقولة فهي غير معقولة.. يبقى أمامنا احتمالان، أن تكون السندات قد أخفيت على ظهر الباخرة، وهذا الاحتمال أيضًا يبدو مستبعداً، أو أن تكون السندات قد ألقيت من ظهر السفينة إلى البحر.

وقلت بدهشةٍ:

– تعني أنها ربطت إلى قطعةٍ من الفلّين؟

– بدون فلّين!

حملقت إلى وجهه بدهشة وأنا أقول:

– ولكن السندات لو ألقيت في البحر فما كانت لتطرح للبيع بعد ذلك في "**نيويورك**".

– إنني معجب بطريقة تفكيرك المنطقي يا "**هاستنجز**"... لقد عرضت السندات للبيع في "**نيويورك**"، ولهذا فلا يمكن أن تكون قد ألقيت في البحر.. ألا ترى إلى أين يقودنا هذا الاستنتاج؟

– إلى حيث كنا ساعة بدأنا.

– كلا بالمرة! إذا كانت اللفافة التي تضم السندات قد ألقيت في البحر، وبيعت السندات في "**نيويورك**"، فلا يمكن أن تكون اللفافة التي ألقيت في البحر هي التي تضم السندات، هل هناك أيّ دليل على أن اللفافة كانت تضم السندات بالفعل؟ تذكر أن السيد "**ريدجواي**" لم يفتح اللفافة منذ وضعت بين يديه في "**لندن**".

– نعم ولكنه بعد ذلك...

أشاح "**بوارو**" بيده في ضيق وهو يقول:

– اسمح لي أن أكمل عرضي.. آخر مرة شوهدت فيها السندات كسندات كانت في "**لندن**".. في بنك "**لندن**" و"**اسكتلندا**" صباح يوم 23 وتعود السندات

للظهور بعد نصف ساعة من رسو الباخرة على الشاطئ في "**نيويورك**"، وأكثر من هذا ووفقًا لشهادة أحد السماسرة الذين لم يشأ أحد أن يستمع إليهم، ظهرت السندات في السوق قبل وصول الباخرة.. فلنفترض الآن أن السندات لم تسافر أصلاً على ظهر الباخرة "**أوليمبيا**"؟ هل توجد وسيلة أخرى لوصول السندات إلى "**نيويورك**"؟ نعم.. كانت الباخرة "**جايجانتيك**" تبحر من ميناء "**سوثهامبتون**" في نفس اليوم الذي تبحر فيه الباخرة "**أوليمبيا**" والمعروف أن "**جايجانتيك**" صاحبة الرقم القياسي في عبور المحيط "**الأطلنطي**". فإذا أرسلت السندات على ظهر "**جايجانتيك**" أتيح لها أن تصل إلى "**نيويورك**" في اليوم السابق لوصول "**أوليمبيا**".

أظن أن الأمور قد بدأت تتضح وبدأت القضية تشرح نفسها..

لقد كانت اللفافة المختومة مجرد دمية للتعمية، ولابد أن تكون عملية استبدال اللفافة قد جرت في البنك نفسه، وكان من السهل على أي رجلٍ من الثلاثة أن يغير اللفافة التي تضم السندات الحقيقية بلفافةٍ أخرى مزيفة.. حسن جداً.. وتشحن السندات لتصل إلى عميلٍ في "**نيويورك**" لديه تعليمات بأن يعرض السندات للبيع بمجرّد وصول الباخرة "**أوليمبيا**"، ولكن لابد من أن يسافر شخص ما على ظهر الباخرة "**أوليمبيا**" لينظم عملية السرقة المزعومة للسندات.

-ولكن لماذا؟

ـ لأن "**ريدجواي**" بمجرد أن يفتح اللفافة ويكتشف أنها لاتضم السندات فإن الشبهات سرعان ما تتجه إلى شخصٍ ما في "**لندن**".. والآن يجيء دور الرجل الذي حجز الكبينة المجاورة لـ"**ريدجواي**"، يتصنع الرجل أنه حاول كسر القفل عنوةً حتى يترك من الآثار ما يلفت الأنظار إلى محاولة السرقة، ثم يفتح الحقيبة بعد ذلك بنسخةٍ من المفتاح كانت معه طوال الرحلة. ثم يلقي اللفافة بعد ذلك في البحر وينتظر حتى يكون آخرمن يغادر السفينة من الركاب.. وهو يضع نظاراتٍ على

عينيه وهذا أمر طبيعي ليخفي عينيه، وهومقعد مادام أنه كان يجب ألا يخاطر بمقابلة "**ريدجواي**"،وينزل الرجل المقعد إلى الشاطئ في "**نيويورك**" ليعود على ظهر أول باخرة متاحة.

– ولكن من .. من يكون الرجل؟

– الرجل الذي يملك نسخة من المفتاح.. الرجل الذي أمر بإعداد القفل.. الرجل الذي لم يكن مريضًا ويعاني من نزلةٍ شعبيةٍ حادةٍ كما يدعي .. هو ذلك الرجل العجوز الماكر السيد "**شو**"! يوجد أحيانًا مجرمون ياصديقي يشغلون أعلى المناصب.. آه ها قد وصلنا..

– آنسة.. لقد نجحت.. هل تسمحين؟

وفوجئت الفتاة بـ"**بوارو**" مشرق الوجه يقبلها قبلة خفيفة على كل خد من خديها دون سابق إنذار!

- 7 -
مغامرة المقبرة الفرعونية

من وجهة نظري، أعتبر المغامرة المثيرة التي اشتركت فيها مع "**بوارو**" بشأن التحقيق في سلسلة غريبةٍ من الأحداث التي انتهت بموت مجموعةٍ من الأشخاص في أعقاب اكتشاف وفتح مقبرة الملك "**منقرع**"، من أكثر المغامرات التي أتيح لي أن أشارك فيها "**بوارو**" إثارة ومتعة.

لم يكد يمضي وقت طويل على اكتشاف لورد "**كارنافون**"لمقبرة "**توت عنخ آمون**"، حتى بدأ السيد "**جون ويلارد**"والسيد "**بلينر**" من "**نيويورك**" في التنقيب عن الآثار في منطقة أهرامات "**الجيزة**"– منطقة غير بعيدة عن "**القاهرة**"– وأدت أعمالهما فجأة إلى العثور على مجموعةٍ من غرف الدفن، وآثار الكشف الجديد اهتمامًا كبيرًا، فقد اتضح أن المقبرة التي تم الكشف عنها هي مقبرة الملك

"**منقرع**" ، واحد من أولئك الملوك العظام الذين ينتمون للأسرة الثامنة في الوقت الذي كان نجم المملكة القديمة قد بدأ يأفل، ولم يكن يعرف عن هذه الفترة الشيء الكثير من المعلومات، ومن ثم فقد كان للكشف الجديد دوي عالمي ضخم،ونشرت أنباؤه في جميع صحف العالم.

وسرعان ما وقع حادث كان له تأثير عنيف على الرأي العام العالمي، فلم يكد يمضي وقت طويل على الكشف عن المقبرة حتى مات السيد "**جون ويلارد**" فجأة نتيجة هبوط في القلب. وانتهزت بعض صحف الإثارة الفرصة في الحالة لكي تقوم بإحياء الخرافة القديمة التي تتعلق باللعنة التي تصاحب الكشف عن الكنوز المصرية القديمة، وأشارت الصحف إلى قصة المأساة التي ترتبط بالمومياء المحفوظة في المتحف البريطاني والتي كذبها رجال المتحف في ذلك الحين، ولكنها عادت تقفز إلى السطح من جديد في أعقاب الموت المفاجئ للسيد "**جون ويلارد**" بعد الكشف عن المقبرة الجديدة.

وقد وقع حادث آخر بعد أسبوعين، فقد مات السيد "**بلينر**"من تسمم حاد في الدم. وبعد بضعة أيام من وفاته أطلق ابن أخيه النار على نفسه في "**نيويورك**" ،وأصبح الحديث عن لعنة "**منقرع**" دائرا على كل لسان، واستغلت الصحف موضوع قُوى السحر الغامض التي ترتبط بالموتى في "**مصر القديمة**"إلى أبعد الحدود..

تلقى "**بوارو**" في تلك الفترة رسالة مقتضبة من السيدة "**ويلارد**" – أرملة عالم الآثار– تطلب إليه أن يزورها في بيتها في ميدان "**كنسنجتون**" ، وصحبت "**بوارو**" في هذه الزيارة.

كانت السيدة "**ويلارد**" سيدة طويلة نحيلة ترتدي ثياب الحداد، وكان وجهها الشاحب يعكس آثار الأسى العميق، وقالت السيدة "**ويلارد**" عند رؤيتنا:

– إنه لكرم شديد منك يا سيد "**بوارو**" أن تلبي دعوتي بهذه السرعة..

وقال "**بوارو**":

- إنني في خدمتك يا سيدة "**ويلارد**".. لاشك في أنك أردت استشارتي في قضية معينة؟

- إنني أعلم أنك مخبر خاص، ولكنني لاأريد أن أستشيرك باعتبارك مخبراً فحسب، وإنما باعتبارك رجل مبادئ.. وأنا أعرف أن لديك الخيال والتجربة.. قل لي يا سيد "**بوارو**".. ما آراؤك بالنسبة للأمور الخارقة للطبيعة؟

تردد "**بوارو**" برهة قبل أن يجيب وبدا عليه أنه يفكر تفكيراً عميقًا ثم قال في النهاية:

- يجب ألا يسيء أحدنا فهم الآخر يا سيدة "**ويلارد**".. ليس السؤال الذي توجهينه إليّ سؤالاً عامًّا، وإنما يبدو أنه يعني تجربة خاصة، أليس كذلك؟ ولعلك تشيرين بطريقةٍ خفيةٍ إلى موت زوجك!

وأجابت الأرملة بهدوء:

- نعم..ما تقوله صحيح.

-هل تريدين مني أن أحقق في الظروف التي أدت إلى الموت؟!

- أريد منك أن تؤكد لي تمامًا إلى أي مدى تصدق الأخبار التي تنشر في الصحف، وإلى أي مدى يمكن التثبت من الحقائق التي تقال.. لقد حدثت ثلاث وفيات يا سيد "**بوارو**"، وقد نجد تفسيراً مقبولاً لكل وفاة إذا نظرنا لكل حالةٍ على حدة، ولكننا إذا ربطنا بين الوفيات الثلاث فمن الصعب أن نسلم بأن الأمر مجرد مصادفة خاصة وأن الوفيات كلها وقعت في خلال شهرٍ واحدٍ بعد فتح المقبرة! ربما كان الأمر مجرد خرافة..ربما لعنةً من الماضي تعمل بطرقٍ كان لا يستطيع العلم الحديث أن يجد لها تفسيراً واضحًا، ولكن الحقيقة تظل قائمة- ثلاث وفيات! إنني خائفة يا سيد "**بوارو**".. أشعر برعبٍ قاتلٍ، وأخشى ألا تقف الأمورعند هذا الحد.

– على من تخافين يا سيدة "**ويلارد**"؟

– على ابني.. عندما وصلتنا أنباء وفاة زوجي كنت مريضة، وسافر ابني إلى "**مصر**" وكان قد عاد منذ قليل من "**أكسفورد**" وأحضر الجثة إلى أرض الوطن، ولكنه على الرغم من صلواتي وتوسلاتي يصرّ على العودة إلى "**مصر**". لقد سحره العمل الذي كان يقوم به والده ويصرّ على أن يستأنف الحفريات.. ربما خيّل إليك يا سيد "**بوارو**" أنني سيدة حمقاء، ولكنني خائفة.. فلنفترض أن روح الملك الميت لم تهدأ بعد؟ ربما بدا لك ما أقوله لايعدو أن يكون تخريفًا

وقال "**بوارو**" على الفور:

– في الواقع كلا يا سيدة "**ويلارد**"، انا أيضًا أومن بقوة الخرافة، فهي واحدة من أعظم القوى التي عرفها العالم.

نظرت إلى "**بوارو**" بدهشة بالغةٍ غير مصدقٍ ما يقوله، لم أكن أصدق قط أن "**بوارو**" يؤمن بالخرافات، ولكن بدا لي بوضوح أن الرجل صغير الحجم يتحدث بجدّ، واستأنف "**بوارو**" حديثه قائلا:

– إذن فأنت تطلبين إليّ أن أعمل على حماية ابنك؟ سوف أبذل أقصى ما في وسعي لأجنبه أي مكروه.

– نعم.. هذا ينطبق على الأمور العادية، ولكن ماذا نفعل أمام تأثير السحر؟

– سوف تجدين يا سيدة "**ويلارد**" في المجلّدات التي تتحدث عن العصور الوسطى الكثير من الأساليب التي تتبع للقضاء على السحر الأسود، وربما كان رجال العصورالوسطى يعرفون الشيء الكثير مما لا يحيط به العلم في أيامنا هذه رغم ما يدعيه العلم من تحقيق للمعجزات.. والآن فلنواجه الحقائق لعلّها تكون مرشدًا لي. كان زوجك مغرمًا بالآثار المصرية القديمة، أليس كذلك؟

– بلى.. منذ مطلع شبابه إلى أن مات.. وكان يعتبر واحدًا من أهم المصادر الحية التي يمكن الرجوع إليها في هذا الموضوع.

– ولكن السيد "**بلينر**" كان على ما أعلم مجرد هاوٍ؟

– أوه.. تمامًا.. كان رجلاً بالغ الثراء يشارك في أي مشروع يروقه. وقداستطاع زوجي أن يحرك فيه الاهتمام بالمصريات، وأصبحت ثروته هي المصدر الرئيسي لتمويل مشروع بعثة التنقيب..

– وماذا بشأن ابن أخيه؟ ما الذي تعرفينه عن ميوله؟ وهل كان يشترك مع البعثة في أعمالها؟

– لا أظن.. أنا في الواقع لم أسمع بوجوده حتى ظهرت أنباء موته في الصحف، ولا أظن أنه كان على علاقةٍ طيبةٍ بالسيد "**بلينر**"؛ لأن السيد "**بلينر**" لم يتحدث عن وجود أقارب له من قبل.

وسأل "**بوارو**":

– مَن أعضاء البعثة الآخرون؟

– حسن.. تضم البعثة الدكتور "**توسويل**" وهو موظف بالمتحف البريطاني،والسيد "**شنيدر**" من متحف "**المترو بوليتان**" في "**نيويورك**"، وشاب صغير يقوم بأعمال السكرتارية للبعثة، والدكتور "**أميس**" الذي يرافق البعثة في مجال تخصصه كطبيب،ويجيء في النهاية "**حسان**" وهو مصري كان يعمل معاونًا خاصًّا لزوجي.

– هل تذكرين اسم الشاب الأمريكي الذي يقوم بأعمال سكرتارية البعثة؟

وقالت السيدة "**ويلارد**" بعد قليلٍ من التفكير:

– "**هاربر**" على ما أعتقد وإن لم أكن واثقة بالاسم.. والذي أعرفه أن الشاب لم يعمل فترة طويلة مع السيد "**بلينر**"، إلا أنه شاب مرح موفور النشاط.

وقالت السيدة "**ويلارد**":

– هل لديك أسئلة أخرى؟

– ليست لدي أسئلة في الوقت الحاضر، وأرجو أن تتركي الأمر بين يدي،وأن

تكوني على ثقة بأنني سوف أفعل كل ما في طاقتي البشرية لحماية ابنك.

لم تكن كلمات "**بوارو**" في الواقع تثير الطمأنينة في نفس الأرملة. وقد رأيت ذلك بوضوح على وجهها. إلا أن عدم محاولة "**بوارو**" في أن يسخر من مخاوف السيدة كان من بواعث راحتها على الأقل.

أما من جانبي، فلم يسبق لي قط أن ارتبت في أن "**بوارو**" يؤمن في أعماق نفسه بالخرافات، ولهذا فقد كان من الواجب أن أفاتحه في الموضوع ونحن في طريق العودة، وكان يبدو عليه الجدّ عندما أجابني بقوله:

– نعم يا "**هاستنجز**".. إني أؤمن بمثل هذه الأشياء،ويجب ألا نقلل من شأن قوة الخرافة.

– وما الذي سوف نفعله بشأنها؟

وقال"**بوارو**" باسمًا:

– أنت دائمًا الرجل العملي الطيب يا "**هاستنجز**" ! حسن..

كنقطة للبداية سوف نرسل برقية إلى "**نيويورك**" لنحصل على معلوماتٍ مفصلة عن وفاة السيد "**بلينر**" الشاب.

أرسل "**بوارو**" البرقية وجاء الرد بالكامل وفي منتهى الدقة. كان "**روبرت بلينر**" الشاب في حالة فقرٍ مدقعٍ خلال السنوات الأخيرة، وكان يشغل بعض الوظائف الحقيرة في عددٍ من جزر بحر الجنوب، إلا أنه عاد إلى "**نيويورك**"منذ عامين لتزداد أحواله المالية سوءاً على سوء، إلا أن الشيء اللافت للنظر أنه استطاع في الفترة الأخيرة أن يقترض مبلغًا من المال سمح له بالسفر إلى "**مصر**"،وقال لمعارفه مبرراً ذلك:

– لدي صديق عزيز هناك أستطيع أن أقترض منه ما أحتاج إليه.

ويبدو أن أحلام الشاب تبددت، لأنه سرعان ما عاد إلى "**نيويورك**" وهويسب ويلعن عمه الذي يعنى بالصرف على عظام الموتى والملوك الغابرين أكثر مما يعنيه

مساعدة أهله من لحمه ودمه، وقد حدثت وفاة عمه السيد "**جون ويلارد**" أثناء فترة إقامة الشاب في "**مصر**"، وانغمس الشاب مرة أخرى في حياة الضياع في "**نيويورك**"، وفجأة وبدون مقدمات انتحر تاركًا وراءه خطابًا يتضمن بعض العبارات الغريبة، ويبدو أنه كتب خطابه الأخير في لحظةٍ من لحظات يقظة الضمير، وقد أشار إلى نفسه بأنه أبرص ومنبوذ. وختم خطابه قائلاً إن الموت أفضل بالنسبة إلى أمثاله.

قفزت فكرة غامضة إلى ذهني، ولم أكن قد فكرت قبل ذلك في الواقع في فكرة الانتقام الذي يستطيع أن يحققه ملك من "**مصر**" القديمة مات منذ آلاف السنين، وإنما رأيت جريمة من جرائم العصر، فلنفترض أن هذا الشاب قرر أن يتخلص من عمه – وأفضل وسيلة من وجهة نظره هي السم، ويحدث خطأ غير مقصود عندما يتناول السيد "**جون ويلارد**" الجرعة القاتلة بدلاً من السيد "**بلينر**" ويعود الشاب إلى "**نيويورك**" وشبح الجريمة التي ارتكبها يطارده، وتصله أنباء موت عمه ويدرك أن تفكيره في الجريمة لم يكن ضروريًا بالمرّة، وعندما بدأ ضميره يؤرقه انتحر ليضع حدًّا لآلامه.

عرضت النظرية التي توصلت إليها على "**بوارو**"، وصادفت الفكرة اهتمامًا لديه وقال:

– إنها فكرة عبقرية تلك التي وصلت إليها ولاشك.. من المؤكد أنها عبقرية..ربما كان هذا هو ما حدث بالفعل، ولكنك تخرج من حسابك كل تأثير للمقبرة.

هززت كتفي في ازدراء وأنا أقول:

– أمازلت تعتقد أن لعنة الفراعنة لها دخل في الموضوع؟

– إلى حد كبير يا صديقي العزيز.. إلى الحد الذي يدفعني إلى أن أخبرك أننا سنبدأ رحلتنا إلى "**مصر**" في الغد!

وقلت بدهشةٍ بالغة: ماذا تقول؟

وقال "**بوارو**" وهو يضع على وجهه ملامح البطولة:

- لقد قلت كلمتي!

وسرعان ما تغيّر وجهه ثم قال في أسى:

- ولكن يا إلهي.. رحلة البحر.. رحلة البحر المقوتة!

*****

بعد أسبوع كانت أقدامنا تغوص في الرمال الذهبية لصحراء "**مصر**"، وأشعة الشمس الساخنة تلهب رؤوسنا، وكان "**بوارو**" صورة للتعاسة بجانبي، فلم يكن الرجل صغير الحجم من هواة الرحلات وكانت رحلة الأيام الأربعة من "**مارسيليا**" إلى "**الإسكندرية**" بمثابة دهر من العذاب بالنسبة إلى "**بوارو**" وبمجرد أن لمست قدماه أرض "**الإسكندرية**" عاد إلى سابق عهده من الحيوية والنشاط.

وعلى العكس من "**بوارو**" استولى عليّ سحر "**مصر**"، في حين ارتدى "**بوارو**" نفس الملابس التي يرتديها في "**لندن**"، وحمل في جيبه قطعة صغيرة من القماش؛ ليشهرها حربًا لا تفتر ضدّ جيوش الغبار الذي كان يتراكم على آلة التصوير السوداء التي يحملها.

وقال "**بوارو**" متبرمًا:

- وحذائي يا "**هاستنجز**" انظر إلى حذائي المصنوع من الجلد اللامع وكيف كان يبدو وجيهًا براقًا على الدوام.. هل ترى الرمال التي تسربت إليه.. هذا شيء مؤلم إنه يثير أعصابي. وكذلك الحرارة إنها تسبب لي الجفاف لشاربي!

وقلت له في محاولة للتخفيف عنه:

- انظر إلى "**أبي الهول**".. حتى أنا أستطيع أن أحس بالسحر والغموض الذي يعكسه..

نظر "**بوارو**" إلى التمثال في ضيق وهو يقول:

– حتى التمثال لاتبدو عليه السعادة، وكيف يشعر بالسعادة ونصفه مدفون تحت الرمال بهذه الطريقة غير المنظمة.. آه. تلك الرمال الملعونة!

وقلت له:

– لعلك نسيت أن في "**بلجيكا**" أيضًا تلالاً من الرمال. وكنت قد تذكرت في تلك اللحظة رحلة قمنا بها سويًا إلى "**بلجيكا**" فقال "**بوارو**":

– ليس في "**بروكسل**".

*****

أطال "**بوارو**" النظر إلى الأهرام وهو مستغرق في التفكير ثم قال بعد فترة:

– صحيح أنها تتخذ شكلاً هندسيًا صلبًا ولكن سفوحها غير مستوية وشكلها لايسر العين، كما أن أشجار النخيل التي تحيط بالمكان لاتروقني حتى ولو كانت منسقة في صفوف!

قطعت عليه حبل الشكوى مقترحًا أن نذهب إلى مقرّ البعثة، وكان علينا أن نقطع الرحلة راكبين الجمال، وظلت الحيوانات راكعة في صبر تنتظر حتى نركب فوق ظهورها في حراسة عددٍ من الصبية يرأسهم أحد المترجمين، وأمر بسرعةٍ على منظر "**بوارو**" وهو جالس فوق ظهر الجمل، فقد بدأ الرحلة بالأنين والشكوى المستمرة، وختمها بالصراخ والصياح مستنجداً بالسيدة "**العذراء**" وكل القديسين الذين تعيهم ذاكرته. ثم أصر على النزول ليكمل بقية الرحلة على ظهر حمارٍ صغير، ويجب أن أعترف أن الركوب على ظهر جمل يجري في الصحراء ليس مزاحًا بالنسبة إلى الهواة من أمثالي، وقد ظل جسمي متصلبًا لبضعة أيام، ووصلنا في النهاية إلى الموقع الذي تنقب فيه البعثة عن الآثار، وقابلنا رجلاً ذا لحية رمادية صبغت الشمس رأسه، وقال الرجل:

– سيد "**بوارو**" والكابتن "**هاستنجز**"؟ لقد تلقينا برقيتكم، وأعبر لكم عن بالغ الأسف لأننا لم نستطع أن نوفد لكم واحداً من رجالنا ليستقبلكم عند وصولكم إلى "**القاهرة**"، فقد وقع حادث غير منتظر قلب كل خططنا رأساً على عقب.

شحب وجه "**بوارو**"، وتجمدت اليد التي كانت في طريقها إلى الجيب لتبحث عن قطعة من القماش، وقال في قلقٍ شديد:

–هل حدثت وفاة جديدة؟

– نعم.

وصحت بانفعال:

– أهو السيد "**جون ويلارد**"؟

– كلا يا كابتن "**هاستنجز**".. إنه زميلي المواطن الأمريكي السيد "**شنيدر**".

وسأل "**بوارو**": وما أسباب الوفاة؟

– "**التيتانوس**".

تجمدت في مكاني من الرعب وقد شلّت المفاجأة تفكيري وخيّل إليّ أن كلّ ما حولي يعطي شعوراً بالشرّ والخطر المحدق، ومرت بخاطري فكرة رهيبة، فلنفترض أنني كنت الضحية التالية؟

وقال "**بوارو**" بصوتٍ خافتٍ للغاية:

– يا إلهي.. إنني لاأفهم هذا الذي يحدث.. هذا مريع! قل لي بربك يا سيدي، هل أنت واثق بأن "**التيتانوس**" هو السبب الحقيقي للوفاة؟

– أنا لاأعتقد ذلك، ولكن الدكتور "**أميس**" سوف يخبرك بالمزيد من التفاصيل.

– آه.. إذن فلست الطبيب بالطبع؟

– اسمي "**توسويل**".

إذن فهذا هو الخبير البريطاني الذي وصفته السيدة "**ويلارد**" بأنه موظف رسمي مغمور بالمتحف البريطاني.. داخلني شعور منذ اللحظة الأولى أن هذا الرجل يخفي وراءه سرًّا رهيبًا-

وأردف الدكتور "**توسويل**" يقول:

– لو أنكم جئتم معي فسوف أصحبكم إلى السيد "**جاي ويلارد**" فقد كان في أشدّ حالات اللهفة وطلب إخطاره بوصولكم في الحال.

عبرنا معسكر البعثة إلى الجانب الآخر حيث كانت توجد خيمة كبيرة، ورفع الدكتور "**توسويل**" الغطاء ودخلنا لنجد ثلاثة رجال، وقال "**توسويل**":

– السيد "**بوارو**" والكابتن "**هاستنجز**" وصلا على التو يا سيد "**جاي**".

قفز أصغر الرجال الثلاثة من مقعده وخفّ لتحيتنا، وكان في تصرفاته شيء من الطيش ذكرنا بأمه، ولم تكن الشمس قد صبغت بشرته كالآخرين، وبالإضافة إلى الدوائر السوداء المحيطة بعينيه، كان يبدو أكبر من عمره الحقيقي بكثير، ولم يكن الشاب قد تجاوز الثانية والعشرين من عمره، وكان يبدو أنه يعاني توترًا عصبيًّا شديداً.

وقدم لنا الشاب زميله، الدكتور "**أميس**" وهو في الثلاثين من عمره يبدو عليه الذكاء والحيوية، وقد تسرب الشعر الرمادي إلى سالفتيه، والسيد "**هاربر**" سكرتير البعثة، وهو شاب مرح يضع على عينيه نظارة ذات إطار ذهبي، وبعد بضع دقائق من الحديث المتفرق انسحب الأخير ثم تبعه الدكتور "**توسويل**"، وظللنا وحدنا مع السيد "**جاي**" والدكتور "**أميس**"، وقال "**ويلارد**":

– أرجوك أن توجه ما تشاء من الأسئلة يا سيد "**بوارو**"، إننا في أشدّ حالات الذهول لسلسلة النكبات الغريبة التي وقعت تباعًا، ولكنها لايمكن أن تكون .. لايمكن أن تكون سوى مصادفات.

كان الشاب يتحدث بعصبية، ولاحظت أن "**بوارو**" يدرس الشاب بعناية،

وقال "**بوارو**" :

– هل تقبل على هذا العمل يا سيد "**جاي**" بحماسٍ حقيقي؟

– نوعاً ما.. لا أهمية لما يحدث أو ينتج عن هذا العمل، فالأمور تسير.. ضع هذا في تقديرك.

التفت "**بوارو**" للرجل الآخر قائلاً:

– وما رأيك أنت فيما يحدث يا سيدي الطبيب؟

تكلم الطبيب ببطء قائلاً:

– حسن.. أنا شخصيًّا ضدّ الرأي الذي ينادي بتوقّف العمل.

عبس وجه "**بوارو**" بطريقةٍ معبّرة وهو يقول:

– إذن.. فمن الضروري أن نعرف طبيعة الأرض التي نقف عليها.. متى حدثت وفاة السيد "**شنيدر**"؟

– منذ ثلاثة أيام.

– هل أنت واثق بأنها كانت نتيجة الإصابة "**بالتيتانوس**"؟

– تمام الثقة.

– ألا يمكن على سبيل المثال أن تكون نتيجة تسمم "**بالأستركنين**"؟

– كلا يا سيد"**بوارو**".. إنني أفهم ما ترمي إليه ولكنها كانت حالة "**تيتانوس**" واضحة كل الوضوح.

– ألم تحقن المريض بالمصل المضاد؟

وأجابه الطبيب بجفاف:

– لقد فعلت ذلك بكل تأكيد، وقد بذلت أقصى ما في طاقتي ولم أترك محاولةً لإنقاذ حياة المريض دون أن ألجأ إليها.

– هل كان المصل المضاد موجوداً معك؟

– كلا.. طلبنا المصل من "**القاهرة**".

– هل حدثت في المعسكر حالات إصابة أخرى بـ"**التيتانوس**" ؟

– كلا . . مجرّد هذه الحالة .

– هل أنت واثق بأن وفاة السيد "**بلينر**" لم تكن نتيجة الإصابة بـ"**التيتانوس**" .

– متأكد تمام التأكد، لقد أصيب أصبعه بجرحٍ وتسمم الجرح، ولقد حدث نفس الشيء لواحدٍ من العمال الذين يعملون مع البعثة الآن إلاّ أنّ الحالتين مختلفتان تمامًا . .

– معنى هذا أنّه وقعت أربع حالات وفاة، وكلها مختلفة تمام الاختلاف، حدثت واحدة نتيجة هبوط في القلب، والثانية نتيجة تسمم في الدم، والثالثة انتحار والأخيرة نتيجة الإصابة بـ"**التيتانوس**" .

– تمامًا يا سيد "**بوارو**" .

– هل أنت واثق بأنه لايوجد ثمة ارتباط بين تلك الوفيات؟

– إنني لاأفهم ما تعنيه على وجه التحديد!

– سوف أضع السؤال في صيغةٍ أبسط . . هل صدر من أي واحد من الأربعة الذين ماتوا ما يشير إلى عدم احترامه لروح "**منقرع**" ؟

حملق الطبيب إلى وجه "**بوارو**" بدهشة ثم قال :

– إنك تفكر تفكيراً غريبًا يا سيد "**بوارو**" ، من المؤكد أنك لايمكن أن تكون من هؤلاء الذين يصدّقون الهراء الذي يشاع؟

وتمتم "**ويلارد**" بغضب :

– هذا ليس إلا هراء!

ظل "**بوارو**" على هدوئه ولم يبد عليه من الانفعال سوى رمشة من عينه الخضراء كعيون القطط، وقال "**بوارو**" بمنتهى الهدوء :

– إذن فانت لاتؤمن بذلك ياسيدي الطبيب؟

وقال الطبيب بلهجة التأكيد :

– كلا يا سيدي لا أومن بتلك الخرافات.. إنني رجل علم ولا أومن بغير ما يعلمه العلم.

وسأله "**بوارو**" برقة:

– ألم يكن هنالك علم إذن في "**مصر**" القديمة؟

لم ينتظر "**بوارو**" حتى يتلقى الإجابة عن سؤاله وكان الضيق قد بدا بوضوح على وجه الدكتور "**أميس**"، وأردف "**بوارو**" يقول على الفور:

– كلا كلا لا تجب عن سؤالي، ولكن أجب عن هذا السؤال.. ما رأي العمّال الوطنيين؟

– أعتقد أنّ الرجال البيض عندما يفقدون صوابهم، فلابد أن يكون الوطنيون متخلفين وراءهم بمسافةٍ بعيدة..وأعترف لك أنهم بدأوا يشعرون بالرعب ولكنّ مخاوفهم لاتستند إلى أيّ أساس.

وقال "**بوارو**" ببساطة دون أن يعلق على هذه الملاحظة:

– إنني أعجب!

مال السيد "**جاي**" إلى الأمام وهو يقول:

– بالتأكيد لايمكن أن تعتقد في هذه الخرافات.. ولكن هذه الأفكار سخيفة! إذا كان هذا هو تفكيرك عن "**مصر**" القديمة فانت لاتعرف عنها شيئًا.

وردًا على ذلك، أخرج من جيبه كتابًا صغيرًا– وكان الكتاب عتيقًا باليًا– وبينما كان "**بوارو**" يمسك الكتاب بين يديه قرأت العنوان "السحر لدى المصريين والكلدانيين" وغادر "**بوارو**" الخيمة، وحملق الطبيب إلى وجهي وهو يقول:

– ماذا يريد أن يقول؟

وقلت:

– أعرف أنني لاأفهم وجهة نظره تمامًا، وأعتقد أن لديه خطة لطرد الأرواح الشريرة.

خرجت لأبحث عن "**بوارو**"، وعثرت عليه وهو يتحدث مع "**هاربر**" الشاب النحيل الذي كان يعمل سكرتيراً للسيد "**بلينر**" قبل وفاته، وكان السيد "**هاربر**" يقول:

– كلا.. لم يمض على فترة عملي مع البعثة أكثر من ستة شهور.. نعم، لقد كنت أعرف أعمال السيد "**بلينر**" معرفة جيدة.

– هل تستطيع أن تروي لي أي شيء يتعلق بابن أخيه المدعو "**روبرت**"؟

– إنه ظهر هنا فجأة، وكان شابًّا حسن المظهر، ولم يسبق لي أن التقيت بالشاب قبل ذلك وإن كان بعض أعضاء البعثة قد التقوا به كالدكتور "**أميس**" و "**شنيدر**" على ما أظن. لم يرحّب الرجل العجوز بظهور ابن أخيه بالمرّة، وكان الشجار يقع بينهما في كل لحظة، وسمعت الرجل العجوز يقول له ذات مرة: لن أعطيك سنتًا واحداً.. لا الآن ولا بعد موتي، سوف أترك كل ثروتي لاستئناف العمل الذي كرّست له حياتي.. لقد كنت أتحدث اليوم في ذلك مع السيد "**شنيدر**".. ولم يبق "**روبرت بلينر**" الشاب بعد ذلك طويلاً وتركنا إلى "**القاهرة**".

– هل كان يتمتع في ذلك الوقت بصحة جيدة؟

– تعني الرجل العجوز؟

– كلا.. أقصد الشاب.

– أعتقد أنه لم يذكر أي شيء عن اعتلال صحته. ولايمكن أن يكون الشاب فريسة مرض خطير وإلا لكان من السهل عليّ أن أفطن إلى ذلك.

– سؤال آخر.. هل ترك السيد "**بلينر**" وصية؟

– على قدر ما نعلم لم يترك وصية.

– هل أنت باق مع البعثة يا سيد "**هاربر**"؟

– كلا يا سيدي.. ليس في نيتي الاستمرار في العمل مع البعثة.. وسوف أعود إلى "**نيويورك**" بمجرد تسوية الأمور هنا، تستطيع أن تسخر مني إذا شئت،

ولكنني لا أحب أن أكون الضحية التالية لذلك الملك المخيف "**منقرع**" ..سوف ينالني حتمًا إذا استمررت في البقاء هنا .

مسح الشاب العرق الذي كان يتصبب على حاجبيه. وأدار له "**بوارو**" ظهره، وقال وهو يبتسم ابتسامة غريبة:

– تذكر أنه نال واحداً من ضحاياه وهو في "**نيويورك**" وقال السيد "**هاربر**" بعصبية:

– أوه.. يا للجحيم!

وقال "**بوارو**" وهو يفكر مليًّا:

– هذا الشاب متوتر الأعصاب.. إنه على حافة الانهيار.. على حافة الانهيار تمامًا.

رمقت "**بوارو**" بدهشةٍ، ولكن ابتسامته الغامضة لم تكشف لي عن شيء، وذهبنا في صحبة السيد "**جاي ويلارد**" والدكتور "**توسويل**" إلى موقع الحفريات،وكانت الاكتشافات الأثرية الجديدة قد نقلت إلى "**القاهرة**"، ولكن بعض أثاث المقبرة كان مثيراً للغاية، وكان حماس الشاب النبيل للعمل واضحًا، ولكنني لمست فيه بعض التوتر وأحسست بأن الشاب لم يتخلص من كل المخاوف وأنه لايزال يخشى تهديداً غامضًا يحوم حول المكان، وبينما كنا نستعد لدخول الخيمة التي خصصت لنا لكي نغتسل قبل التأهب لتناول وجبة العشاء، صادفنا رجل طويل أسمر يرتدي جلبابًا أبيض وحيّانا باللغة العربية وتوقف "**بوارو**" قائلاً:

– هل أنت "**حسّان**" الذي كان يقوم بخدمة السيد "**جون ويلارد**" قبل وفاته؟

– كنت أخدم سيدي السيد "**جون**"، والآن أنا في خدمة ابنه.

اقترب الرجل خطوة منا وهو يقول بصوتٍ هامس:

– لقد سمعتهم يقولون إنك رجل حكيم وإنك خبير في التعامل مع الأرواح الشريرة.. ساعد السيد الصغير على الرحيل من هنا.. الشر يحوم حولنا في هذا

المكان. ولم ينتظر الرجل ردًّا على كلامه وانسحب مسرعًا، وتمتم "**بوارو**":

– الشرّ يحوم حول المكان؟!

نعم..هذا ما أحسّ به.

تحدث الدكتور "**توسويل**" أثناء العشاء عن الآثار المصريّة، وبينما كنا نستعدّ للانسحاب بعد تناول العشاء، أمسك السيد "**جاي**" بذراع "**بوارو**" وأشار إلى الخارج كان هناك شبح مظلم يتسلّل بين الخيام، ولم يكن شبح إنسان.. واستطعت أن أميزّ بوضوح جسداً يعلوه وجه كلب وهو المنظر الذي شاهدته قبل ذلك منقوشًا على جدران المقبرة،كاد الدم يتجمد في عروقي من الرعب، وتمتم "**بوارو**"في وجلٍ وهو يرسم علامة الصليب على صدره:

– يا إلهي! "**أنوبيس**"، الذي له رأس ابن آوى.. إله الأرواح الراحلة عند المصريين القدماء!

وصاح الدكتور "**توسويل**" وهو يقف على قدميه في غضب:

– إن شخصًا ما يحاول إثارة الفزع في قلوبنا.

وتمتم السيد "**جاي**" وقد امتقع لونه بشكلٍ واضح:

– لقد ذهب إلى خيمتك يا "**هاربر**"..

– كلا.. إنه يتجه إلى خيمة الدكتور "**أميس**".

حملق الطبيب إلى وجهه بدهشة، ثم كرّر كلمات الدكتور "**توسويل**" وصاح بانفعال:

– يحاول بعضهم أن يسخر منّا.. هيا بنا نمسك بذلك الشخص.

اندفع الطبيب إلى الخارج في محاولةٍ للإمساك بالشبح، وانطلقت وراءه، ورغم البحث الجاد في كل مكان من المعسكر لم نعثر على شيء، وعدنا أشدّ قلقًا لنجد "**بوارو**" جالسًا في مكانه يتخذ الاحتياطات اللازمة لحماية نفسه شخصيًّا، كان يتمتم بكلمات غامضةٍ ويدور حول الخيمة التي خصصت لنا وهويرسم على الرمال

أشكالاً ورسومًا غامضة، وكان يتحدث في نفس الوقت عن الأرواح الشريرة والسحر بصفةٍ عامة، السحر الأبيض في مواجهة السحر الأسود مع إشاراتٍ مختلفة إلى ما ورد في كتاب الموتى عند المصريين القدماء..

أثار سلوك "**بوارو**" احتقاراً شديداً لدى الدكتور "**توسويل**" الذي جذبني من ذراعي وانتحى بي جانبًا وهو يقول:

– دجل يا سيدي.. مجرد دجل.. هذا الرجل دجّال، إنه لايعرف الفرق بين خرافة العصور الوسطى والعقائد في "**مصر**" القديمة، لم يسبق لي أن رأيت مثل هذا الجهل.

حاولت أن أهدّئ ثائرة العالم الغاضب ولحقت بـ"**بوارو**"في الخيمة، وكان صديقي يبتسم في سرورٍ زائدٍ وهو يقول:

– الآن نستطيع أن ننام في هدوء.. إنّ رأسي مصدع تمامًا..

شاهدت باب الخيمة يفتح ورأس "**حسان**" يطلّ منه وهويحمل قدحًا يتصاعد منه البخاروقدّمه لـ "**بوارو**"، واتضح لي أنه قدح من البابونج، وهو شراب محبب لـ "**بوارو**"، وعندها شكره "**بوارو**"بينما رفضت قدحًا من المشروب عرضه عليّ الرجل.

انسحب "**حسان**" وتركنا وحدنا مرة ثانية، ووقفت بالقرب من الباب بعد أن خلعت ملابسي ونظرت إلى الصحراء وقلت بصوتٍ مرتفع:

– مكان رائع.. وعمل رائع.. إنني أشعر بالسحر الذي يشع من حياة الصحراء التي تتوسط قلب العالم المتحضر.. لاشك في أنك تحس بنفس المشاعر يا"**بوارو**"؟

لم أتلق ردًّا على سؤالي ممّا سبب لي بعض الضيق، وسرعان ماتحول ضيقي إلى قلق، فقد كان "**بوارو**" راقداً على الحشية الخشنة ووجهه يتقلص بشكل بشع وبجواره القدح خاليًا من الشراب، اندفعت إليه ورأيته يحملق إلى وجهي بذهولٍ دون أن يتكلّم.

أسرعت إلى خيمة الدكتور "**أميس**" وطالبته بالإسراع إلى الخيمة، وقال الطبيب الذي كان يرتدي البيجامة:

– ما الذي حدث؟

– صديقي.. إنه مريض.. لعلّه يموت.. إنه شراب البابونج.. لا تسمح لـ "**حسان**" بمغادرة المعسكر.

اندفع الطبيب إلى الخارج وكان "**بوارو**" في نفس الوضع الذي تركته عليه. وصاح "**أميس**":

– شيء غير عادي.. يبدو كما لو كان شللاً.. ما الذي قلت إنه شربه؟

أمسك الطبيب القدح الفارغ، وتردّد صوت هادئ يقول: ولكن الذي حدث أنني لم أشربه.

نظرنا إلى "**بوارو**" في دهشة، وكان "**بوارو**" يجلس في تلك اللحظة فوق السرير ناظراً إلينا في ابتسام وقال:

– كلا لم أتناول الشراب. بينما كان صديقي "**هاستنجز**" يتغنى بسحر الصحراء انتهزت الفرصة وسكبت الشراب. لم أسكبه في حلقي وإنما في زجاجةٍ صغيرةٍ وهذه الزجاجة الصغيرة سوف ترسل إلى المعمل لتحلل كيميائيًّا..

وهنا اندفع الطبيب في حركة مفاجئةٍ، فصاح "**بوارو**":

– كلا.. إنك كرجلٍ عاقلٍ تدرك أن العنف لن يجدي، لقد انتهزت فرصة ذهاب "**هاستنجز**" ليناديك. فأخفيت الزجاجة في مكانٍ أمين. قيد حركته بسرعة يا "**هاستنجز**".

لم أفهم في الوقت المناسب سبب لهفة "**بوارو**" على أن أنفذ أوامره، ووقفت أمامه لأدفع عنه أي خطر يمكن أن يهدد حياته ولكن حركة الطبيب السريعة كان لهامعنى آخر. فقد انتهز الفرصة وأخرج من جيبه زجاجة صغيرة وأفرغ السائل في جوفه، وتصاعدت في الجو رائحة نفاذة، وترنح الطبيب ثم سقط على الأرض، وقال

"**بوارو**" بأسى:

– ضحية أخرى ولكنها الأخيرة.. ربما كانت هذه أفضل الوسائل، ولكن دم ثلاث ضحايا سوف يظلّ معلقًا برأسه.

وصحت في دهشة:

– الدكتور "**أميس**"؟ ولكنني كنت أعتقد أنك تنسب الأحداث إلى بعض العلوم الغامضة.

– لقد أسأت فهمي يا "**هاستنجز**".. كل ما كنت أعنيه أنني أعتقد في القوى المرعبة للخرافات. إنه يكفي أن يستقرّ في الأذهان أن سلسلة من الوفيات قد حدثت بطريقة خارقة للطبيعة، لكي تستطيع في ظل هذا الجو أن تطعن رجلاً في وضح النهار ويقال إنها اللعنة.. إن هذه الخرافات متأصلة في النفس البشرية وقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن شخصًا يستفيد من هذه الغريزة، ولقد جاءته الفكرة على ما أعتقد عند وفاة السيد "**جون ويلارد**"، وتمكنت الخرافة في الحال من السيطرة على كل العقول،وعلى حسب اعتقادي فإن أحدًا لم ير أية منفعة يمكن أن تتحقق من وفاة السيد "**جون ويلارد**"، ولكن الموقف يختلف بالنسبة إلى السيد "**بلينر**"، فهو رجل يمتلك ثروة ضخمة،وقد تضمنت المعلومات التي تلقيتها من "**نيويورك**" بعض النقط المفيدة، أولها أن "**روبرت بلينر**" الشاب قرر أن له في "**مصر**" صديقًا طيبًا يستطيع أن يقترض منه، والمفهوم بداهة أنه يقصد عمه، ولكنني فكرت في أنه لو كان يعني عمه حقًّا لذكر ذلك صراحة، ومن ثم فإن الشاب كان يعني صديقًا عزيزًا، والنقطة الثانية أنه استطاع تدبير مبلغ يكفي لتغطية نفقات السفر إلى "**مصر**"، وقد رفض عمه أن يعطيه بنسًا واحدًا. ومع هذا فقد استطاع الشاب أن يحصل على المال الكافي لرحلة العودة، وعلى هذا الأساس فلابد أن شخصًا أقرضه المال.

وقلت معترضًا:

– كل هذه الحقائق لاتعتبر أدلة دامغة.

– توجد حقائق أخرى يا "**هاستنجز**".. قد ينطق الإنسان ببعض الألفاظ التي يقصد من ورائها المعنى المباشر ولكنها تؤخذ على أنها تعبير مجازي. كما يحدث العكس عندما يقول الإنسان شيئًا يقصد معناه المجازي فيؤخذ الكلام بمعناه الحرفي، وكانت كلمات "**بلينر**" التي ذكرها في خطابه واضحة تمام الوضوح:

"أنا أبرص" ولم يتنبه أحد إلى أنه أطلق الرصاص على نفسه؛ لأنه كان يعتقد أنه أصيب بجرثومة مرض الجذام اللعين.

وقلت بدهشة:

– ماذا تقول؟

– لقد كان ذلك نتاج عبقرية عقل شيطاني.. كان "**بلينر**" الشاب يعاني آلام مرضٍ جلدي بسيط، وكان قد عاش بعض الوقت في جزر بحر الجنوب حيث ينتشر مرض الجذام، وكان "**أميس**" صديقًا قديمًا لـ"**بلينر**" الشاب ولم يكن "**بلينر**" الشاب ليشك في صدق الطبيب أو يرتاب في صحة تشخيصه للمرض.

وقد استطاع الدكتور "**أميس**" أن يقنع الشاب بأنه مصاب بالجذام، وعندما وصلت إلى هذا المكان توزعت شكوكي بين "**هاربر**" والدكتور "**أميس**"،ولكنني سرعان ما أدركت أن الطبيب وحده هو الذي يستطيع أن يدبّر تلك الجرائم ويخفيها، وقد عرفت من "**هاربر**" أنه كان على علاقة سابقة بـ"**بلينر**" الشاب، ومما لاشك فيه أن الأخير كان قد أمن على حياته لصالح الطبيب أو كتب وصية لصالحه، ووجد الأخير الفرصة سانحة للحصول على الثروة، وكان من السهل عليه أن يحقن السيد "**بلينر**" العجوز بالجراثيم القاتلة، وعندما استولى اليأس على الشاب حين أرسل له الطبيب بالأنباء المزعجة عن وفاة عمه بنفس مرضه أطلق الرصاص على نفسه، وأيًّا كانت نيَّات السيد "**بلينر**" فإنه لم يترك وصية، ومن المفروض أن تنتقل الثروة إلى ابن أخيه ومن هذا الأخير إلى الطبيب.

– وماذا بشأن السيد "**شنيدر**"؟

– لانستطيع أن نجزم برأي قاطع، كان هو أيضًا يعرف "**بلينر**" الشاب وربما يكون قد شك في شيء، أو لعل الطبيب فكر في أن حدوث وفاة جديدة ليس لها هدف قد يعزز قصة الخرافة التي أشيعت عن لعنة الفراعنة، فضلاً عن هذا فسوف أذكر لك حقيقة سيكولوجية مثيرة يا "**هاستنجز**" وهي أن القاتل يشعر دائمًا برغبة ملحة في أن يكرر جريمته الناجحة، ومن هنا شعرت بالخوف على "**ويلارد**" الشاب، أما شبح "**أنوبيس**" الذي رأيته الليلة فلم يكن سوى "**حسان**" الذي تنكر في ذلك الزي بناء على أوامري، وكانت خطتي أن أحاول إدخال الرعب على قلب الطبيب ولكن الأمر يحتاج إلى ما هو أكبر من الأمور الخارقة للطبيعة لإخافته، وقد اتضح لي أنه لم يكن مقتنعًا بفكرة اللعنة، وتوقعت أن يقوم بمحاولة جديدة ليتخلص مني، ولكن على الرغم من رحلة البحر ومتاعبها والحرارة القاسية ومضايقات الرمل فإن خلايا المخ الصغيرة كانت لاتزال تعمل بإحكام!

وثبت أن "**بوارو**" كان محقًّا في استنتاجاته، فقد حدث منذ بضع سنوات أن كتب "**بلينر**" الشاب وصية على سبيل المزاح بعد أن أفرط في الشراب ذكر فيها (علبة السجائر الذهبية وأيّ شيء آخر يكون ملكًا لي ساعة موتي يئول كل ذلك إلى الصديق العزيز "**روبرت أميس**" الذي أنقذ حياتي من الغرق ذات يوم).

انتهت القضية عند ذلك الحدّ، وحتى هذا اليوم لايزال الناس يتحدثون عن سلسلة الوفيات التي ارتبطت بالكشف عن مقبرة "**منقرع**"، على أساس أنه دليل قائم على صدق قصة لعنة الفراعنة التي تصيب كل من يعبث بقبورهم– وهو اعتقاد على حد ما يقول "**بوارو**" يختلف تمام الاختلاف مع أفكار المصريين القدماء وعقائدهم..

تمّت بعون الله